



### الملاك جبرائيل يُبشِّر زكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان

«لأنه يكون عظيمًا أمام الرب ... ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته» (لو ١: ١٥-١٧)  
رسم جداري يرجَّح أنه من القرن الثاني عشر في الهيكل البحري بكنيسة أنبا مقار بديره العامر



### Zecharia the Priest Offering Incense in the Temple when Gabriel the Archangel appeared to him and announced the birth of St John the Baptist

(A fresco from about the 12<sup>th</sup> century in the Northern sanctuary of St Macarius Church)

## قد لبس جسدي لأحتضن أنا اللوغوس

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)



## المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

الصوم وصيانة جهازنا الروحي ..... ١

مقال للأب متى المسكين

لا تدينوا فلا تُدانوا ..... ٨

بمناسبة شهر كيهك:

ومضات من أناجيل آحاد شهر كيهك ..... ١٢

دكتور نصحي عبد الشهيد :

أنى وسيأتى ..... ١٩

ادخل إلى العمق (٢٨): السهر الروحي ..... ٢٣

من النصوص الآبائية:

التلحين الليتورجي - الأب نيكيتا أسقف رومانيا ..... ٢٨

مفاهيم إنجيلية:

يوحنا المعمدان ..... ٣٣

من التراث الكنسي:

في مفهوم الشركة الكنسية (١٣) ..... ٣٩

تقديم كتاب (١٠): الكنيسة وثقافة العصر ..... ٤٤

الفهرس العام لمقالات المجلة ٢٠٢٢ ..... ٤٥

مقال بالإنجليزية:

Why don't we Rejoice? ..... ٤٨

عظة في ميلاد المسيح

## مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

ثمان النسخة عشرة جنيهات

الاشتراك السنوي: حرّ ... حُدّه الأدنى:

١٠٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)

١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)

٤٠٠ جنيهًا: في البلاد العربية

١٠٠ دولارًا أمريكيًا: في البلاد الأخرى

يُسدد عن طريق موقع الدير على الإنترنت

عنوان المراسلات: ص. ٣١ شبرا - القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات: بحواله بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ٣١ شبرا - القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

٠١٣٣١٠٠٠٣٠٨٥٨١٨

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة

بأرقام المجلة

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصنّف مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com



# الصدوم



## وصيانة جهازنا الروحي

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني



نقرأ فصلاً من إنجيل معلّمنا متى البشير (ص ١٣ : ١ - ٩):

+ « فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ يَسُوعُ مِنَ الْبَيْتِ وَجَلَسَ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ. وَالْجَمْعُ كُلُّهُ وَقَفَ عَلَى الشَّاطِئِ. فَاكْلَمَهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ قَائِلًا: "هُوَ ذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَمَّاكِنِ الْمُحْجَرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَانْبَتَ حَالًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا، بَعْضٌ مِنْهُ وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلَاثِينَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ"».

هذا الفصل من الإنجيل تتكرّر قراءته في الأحد الأوّل والأحد الثاني من شهر هاتور الذي يبدأ صوم الميلاد في منتصفه، وسنركّز على آية واحدة هامة فيه، وهي آية: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

من الأشياء الهامة في مسيرة حياتنا الروحية، ما نسمّيه بالجهاز الروحي في الإنسان، فالله عندما خلق الإنسان، خلق له مجموعة من الأجهزة الجسدية المتناسقة لكي تعمل بتناغم معاً، وأهم هذه الأجهزة الجسدية: الجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي، والجهاز العصبي وغيرها. كذلك أيضاً يوجد بالإنسان جهازاً نفسيّاً يلزم أن يعمل بتناغم ليكون الإنسان كائناً سوياً، حتى إنّ أي خللٍ أو عدم توافق في عمل الجهاز النفسي للإنسان، يُصيّره مُعْتَبَلاً نفسياً.

وهناك أيضاً جهاز روحي يقود الإنسان، وهذا الجهاز يتمثّل في: الأذن، والعَيْن، والفم، والقلب. والثلاثة أعضاء الأوائل في هذا الجهاز تتواجد في رأس الإنسان، ويصبُّون جميعهم في القلب. ويقول الآباء، إنّهُ كما أنّ للإنسان أذنّاً خارجية، فإنّه يوجد للقلب أذنّاً داخلية، وكما

أنَّ للإنسان عينيًّا خارجية، هكذا للقلب عينٌ داخلية، وبالمثل، كما أن للإنسان فمًا خارجيًا، كذلك يوجد للقلب فمٌ داخلي، فالقلب هو مركز التجمُّع لهذه الأجهزة الروحية وهو المسؤول عن إداراتها.

والشيء الجميل هنا، أن كنيستنا المجيدة تعلِّمنا عبر تاريخها وبأصوامها أمرًا هامًّا؛ فقد وضعت لنا مجموعة من الأصوام: أربعة أصوام كبيرة هي: صوم الميلاد، والصوم الكبير، وصوم الآباء الرسل، وصوم السيِّدة العذراء، وكذلك أربعة أصوام صغيرة وهي: الأربعاء والجمعة وصوم البرامون وصوم نينوى. والأمر الرائع في هذا أن فلسفة الكنيسة من ترتيب هذه الأصوام - خاصة الكبيرة - هو في إنها فرصة جادَّة وحقيقية لإصلاح وتجديد وصيانة أعضاء الجهاز الروحي للإنسان؛ والكنيسة تُخصِّص كلَّ صوم من هذه الأصوام الأربعة لمخاطبة عضوٍ معيَّن من أعضاء الجهاز الروحي الأربعة.

والآن، لنبدأ معًا رحلتنا مع الصوم من أجل صيانة أعضاء جهازنا الروحي:

### صوم الميلاد:

الكنيسة بحكمة بالغة تُخصِّص صوم الميلاد البتولي من أجل إصلاح وتجديد الأذن الروحية وتنشيطها، ودليلنا على ذلك أنَّها ترتَّب لنا قراءات الأحد الأول والثاني من هاتور - قبل بدء الصوم مباشرة - لتحديثنا في فصول الإنجيل الخاص بهما عن مَثَل الزارع والزرع، والذي فيه تنتهي قراءة المَثَل بالعبارة الشهيرة: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِيَسْمَعَ فَلْيَسْمَعْ» (مت ١٣: ٤٣، لو ٨: ٨). فالكنيسة تسأل كَلًّا مَنَّا وتنبِّهه: هل أُنْذِنْتَ تسمع؟ وهل تطيع ما تسمعه؟ هل أُنْذِنْتَ تُميِّز صوت الله في مخدعك أو قلايتك أو حياتك؟ هل تفهم وتستوعب رسائل الله لك وتطيعها؟ أم أنَّك تسمع وسرعان ما تنسى أو تتناسى؟ أو ربما لا تسمع قط؟ أو إنك بعدما سمعت مضيت حزينًا ولم تعمل شيئًا؟ (مت ١٩: ٢٢).

ولعلَّ من أشهر العبارات الرهبانيَّة عند الآباء قولهم: "على ابن الطاعة تحلُّ البركة"، والطاعة هي بالسمع (الأذن الروحية)، وهي مدخل الحياة الروحيَّة. فإن كانت أذن الإنسان مريضة فلا قيمة ولا جدوى لما بعد ذلك.

ثم تأتي قراءات الأحد الثالث من هاتور (الأحد الأول في صوم الميلاد) تكرارًا للوصية «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِيَسْمَعَ فَلْيَسْمَعْ» (لو ١٤: ٣٥)، وفي آخر آحاد شهر هاتور تُقدِّم لنا الكنيسة الحكيمَّة إنجيل الشاب الغني، ذلك الشاب المهذَّب واللطيف الذي تقدَّم إلى الربِّ يسوع،



وَسَجَدَ لَهُ بِكُلِّ وَقَارٍ، وَسَأَلَهُ سُؤْلاً كَبِيراً عَلَى شَابٍّ فِي مِثْلِ سَنِهِ: «مَاذَا أَعْمَلُ لِأُرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟» (مر ١٠: ١٧)، ويا له من سؤالٍ يَنُمُّ عن شخصٍ مهتمٍ بخلاصه! يدعوننا أن نفرح به. ثُمَّ بدأ يسوع يسأله إن كان قد حفظ الوصايا؟ فأجابه بأنَّه حفظها كلها منذ حدثته، وكان هذا أيضاً أمراً جيِّداً. حينئذٍ لمس الربُّ موضع أوجاعه، فقال له: «يُعْوزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. إِذْهَبْ بِعِ كُلِّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ». فيقول عنه الكتاب: «مَضَى حَزِيناً، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ» (مر ١٠: ٢١، ٢٢)، ولذلك يسمِّي البعض هذا الشاب "بالشاب الحزين" عوضاً عن "الشاب الغني". لقد مضى حزيناً لأنَّه لم يستطع أن يسمع، إذ كان ما سمعه غير موافقٍ لرغباته أو طموحاته. وهكذا البعض منَّا، لا يمكنهم أن يسمعوا ما ليس على هواهم، ولا يستجيبون للدعوة إن كانت لا تُلبِّي شهواتهم وتُحقِّق طموحاتهم، بل يسُدُّون آذانهم فلا تسمع ما لا يعجبهم. وهناك الكثيرون الذين يستمعون لحديثك الطويل معهم، ولكن لا يتذكرون منه سوى كلمتين فقط يسمعونهما، إمَّا لكي يحاسبوك عليهما، أو ليستغلوها، تاركين باقي الكلام الجيِّد لأنَّه لا يعجبهم، أو لا يعجبهم، فالسمع عندهم سَمْعٌ انتقائي selective listening. لهذا كان هذا الصوم مخصَّصاً لإصلاح الأذن وإعادة الحساسية الروحية لها، لتصير أذنًا سامعةً صحيحةً.

بعد ذلك يأتي شهر كيهك بقراءاته المفرحة، فالكنيسة بعدما أعطتنا مثالاً للأذن المريضة وغير المستمعة، تُقدِّم لنا مثالاً رائعاً للأذن المستمعة والمطبعة في شخص أَمَّنَا القديسة العذراء مريم. فالفضيلة الأولى والعظمى للسيدة العذراء، بجانب قداستها وطهارتها وكونها والدة الإله وغيرها من الفضائل والصفات الرائعة - هي أنها امتلكت أذنًا جيِّدة، فقد استطاعت أن تسمع جيِّداً، وأن تطيع جيِّداً، حينئذٍ قالت: «هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لو ١: ٣٨)، وذلك رغم كَوْنِ الرسالة المُرسلة لها أمراً خطيراً بالنسبة لفتاة صغيرة في مثل عمرها. وتظل الكنيسة طوال شهر كيهك تُطوِّب أَمَّنَا العذراء، لا لسببٍ سوى لأنَّها امتلكت الأذن الجيِّدة. تُرى يا أخي الحبيب، هل أذنك تسمع كلمة الله بطريقة صحيحة؟ هل تسمع الوصية جيِّداً؟ هل تنصت للإرشاد الروحي جيِّداً؟ هل في صمتك وخلوتك تقول «تَكَلَّمْ يَا رَبُّ لَأَنَّ عَبْدَكَ سَامِعٌ» (١ صم ٣: ١٠)؟ احذر أن تكون أذنك متعطِّلة عن السمع أو مريضة، أو أنها تسمع ما يروق لها فقط؟ أو أنها لا تسمع إطلاقاً! لذلك تهتمُّ الكنيسة بأن تجعل صوم الميلاد كَلَّةً مخصَّصاً لهذا الأمر - إصلاح الأذن الروحية - وتُقدِّم الكنيسة على مدى شهر كيهك كَلَّةً التسابيح الروحية الجميلة للسيدة العذراء، صاحبة الأذن المفتوحة.

بَقِيَ ملحَقٌ صغير هنا، وهو أنَّنا بعد صوم الميلاد نعبر على أعياد الظهور الإلهي كلها حتى نصل إلى صوم نينوى، وهذا الصوم أيضًا قائمٌ على الأُذن، فهو يختص بإنسانٍ (يونان) قاوم صوت الله ودعوته للكراسة لأهل نينوى، ولاقته تجارب شديدة بسبب ذلك، وبعدما نجَّاه الله منها، عاد لسمع ويذهب مُتضرِّراً، ولكنَّ الله أراه كيف أنَّه عفا عن المدينة بأسرها من أجل سماعهم الجيّد لصوت الله فهبُّوا للتوبة ونالوا المغفرة والنجاة.

وهكذا نرى أنَّ صوم الميلاد قد جعلته الكنيسة فرصة لنا لإصلاح أُذننا الداخلية وتجديدها. فالأُذن هي العضو الأوّل في الجهاز الروحي الذي يبدأ به الإنسان مسيرته الروحيّة. وفي التدبير الرهباني والحياة الرهبانيّة تعتمد المسيرة على قاعدة هامة، وهي التسليم الأبوي، من الأب أو الشيخ إلى تلميذه، وهذا الأمر لا يتم إلّا من خلال التعليم المنطوق من الأب، والأُذن السامعة والمطيعّة للابن. وطوبى لمن يملك الأُذن الجيِّدة القادرة على السمع والطاعة والعمل.

### الصوم الكبير:

هذا الصوم خصّصته الكنيسة من أجل إصلاح عَيْن الإنسان وصيانتها، وتجديد نظرتة الداخلية. ففي أحد الرفاع نقرأ من الأصحاح السادس لإنجيل متى الرسول، الآيات من (١- ١٨)، ثُمَّ نكمّل الفصل السادس في الأحد التالي له؛ أي في الأحد الأوّل من الصوم، وفي هذا الجزء يُكلّمنا الربُّ يسوع عن العين البسيطة والعين الشريرة فيقول: «سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا» (مت ٦: ٢٢، ٢٣). فهناك عينٌ شهوانيّة، وعينٌ ناقدة، وعينٌ حاسدة، وعينٌ ذات نظرة معكوسة للأمور، وأيضًا هناك العين صاحبة النظرة السوداويّة والعين الناقلة للأخبار والمحبة للنميمة، والعين الديّانة والشريرة. تُرى من أي نوع هي عينك يا أخي؟

يأتي بعد ذلك الأحد الثاني، أحد التجربة، ونقرأ فيه عن تجربة العين: «أراه كلّ ممالك العالم» ويحاول الشيطان إغراه بها إن خَرَّ وسجد له، وهكذا في تجربة تحويل الحجارة خبزاً، فالثلاث تجارب كانت بإغراءات منظورة بالعين، وعلمنا الربُّ يسوع كيف نغلبها. ونصل إلى الأحد التالي مع مَثَل الابن الضال، ذاك الذي نظر إلى ثروة أبيه ولم ينظر إلى أبيه، أو يستمع له، فدخل في تجربة مُرّة. ونصل إلى الأحد الرابع مع المرأة السامريّة، ونقرأ كيف انطلقت هذه المرأة لتكرز لأهل مدينتها وعشيرتها قائلة: «هَلُمُّوا انظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلُّ مَا فَعَلْتُ». وقبل أسبوع الآلام تُقدّم لنا الكنيسة إنجيل شفاء المولود أعمى (مريض العينين)، وكيف فَتَحَ الربُّ يسوع عينيه، وأعطاه البصر والبصيرة أيضًا، كمثال لما نبتغيه نحن في

الصوم المقدّس من نَيْل البصيرة والاستنارة والتجديد لعيون قلوبنا الداخليّة.

إِنَّ أَهَمَّ عَيْنٍ عَلَيْنَا اقْتِنَاؤُهَا فِي هَذَا الصَّوْمِ هِيَ الْعَيْنُ الرَّحِيمَةُ، لِذَلِكَ تَلَحُّ الْكَنِيسَةُ عَلَى ذَلِكَ بِتَكَرُّارِهَا لِمَدِيحَةِ ”طُوبَى لِلرَّحْمَا عَلَى الْمَسَاكِينِ“، وَالْمَسَاكِينُ هُنَا تَشْمَلُ أَيَّ صُورَةٍ مِنْ أَشْكَالِ الْمَسْكَنَةِ؛ فَرُبَّمَا الْفُقَرَاءُ أَوْ الضَّعَفَاءُ أَوْ الْخَطَاةُ، أَوْ الْبُعِيدِينَ وَهَكَذَا. فَهَلْ عَيْنُكَ يَا أَخِي عَيْنٌ رَحِيمَةٌ؟

عَلَيْنَا كَأَبَاءٍ أَنْ تَكُونَ أَعَيْنُنَا مُمْتَلِئَةٌ بِالرَّحْمَةِ، وَالْعَيْنُ الرَّحِيمَةُ تُنَجِّينَا مِنْ خَطَايَا كَثِيرَةٍ، وَمِنْ دِينُونَةٍ وَإِمْسَاكِ لِلسَّيْرِ، وَمِنْ أَكْثَرِ صَلَوَاتِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي تُرَدِّدُهَا خِلَالِ هَذَا الصَّوْمِ طَلِبَةٌ ”يَا رَبُّ ارْحَمْنَا“، ”ارْحَمْنَا يَا اللَّهُ كَعَظِيمِ رَحْمَتِكَ“، ”ارْحَمْنَا يَا اللَّهُ ثُمَّ ارْحَمْنَا“، وَهِيَ تَضْرِبُ عَاتِ مَنْ أَجَلَ نَيْلِ الرَّحْمَةِ، فَكَمْ بِالْحَرَى نَكُونُ فِي حَاجَةٍ أَنْ نَقْتَنِي نَحْنُ الْعَيْنُ الرَّحِيمَةُ. وَلِنَتَذَكَّرَ حَالِ الْمَرْأَةِ الْخَاطِئَةِ الَّتِي أُمْسِكَتْ فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَكَيْفَ أَحَاطَتْهَا الْجُمُوعُ أَصْحَابُ الْعَيُونِ الشَّرِيرَةِ تَرِيدُ رَجْمَهَا، فَمَا كَانَ مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْحَنُونَ إِلَّا أَنْ انْحَنَى عَلَى الْأَرْضِ، وَبَدَأَ يَكْتُبُ خَطَايَا كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ، فَابْتَدَأُوا يَعْبرُونَ وَيَقْرَأُ كُلُّ وَاحِدٍ خَطِيئَتَهُ مَكْتُوبَةً أَمَامَ عَيْنَيْهِ، فَيُلْقِي الْحِجْرَ مِنْ يَدِهِ وَيَمُرُّ حَاجِلًا تَارِكًا الْمَرْأَةَ مَعَ يَسُوعَ، أَمَّا يَسُوعَ فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهَرَ بِأَحَدٍ، أَوْ يَكْشِفَ هُوِيَّةَ أَيٍّ مِنْهُمْ، بَلْ تَرَكَهُمْ لِيَنْظُرُوا رَحْمَتَهُ وَسِرَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيتَعَلَّمُوا مَعْنَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: أَيْنَ أَوْلَئِكَ الْمَشْتَكُونَ عَلَيْكَ، أَمَّا دَانِكَ أَحَدٌ، وَأَنَا لَا أُدِينُكَ، اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا. هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ، وَهَذَا هُوَ الْإِنْجِيلُ، إِنَّهَا عَيْنُ الرَّحْمَةِ.

إِذْنًا، الصَّوْمُ الْكَبِيرُ كُلُّهُ هُوَ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحٍ وَتَجْدِيدٍ الْعَيْنِ. وَفِي نَهَايَةِ هَذَا الصَّوْمِ الْكَبِيرِ تَعُودُ الْكَنِيسَةُ لِنُتَذَكِّرُنَا بِتَعْلِيمِهَا الْأَوَّلِ عَنْ إِصْلَاحٍ وَتَجْدِيدٍ الْأُذُنِ، عِنْدَ قِرَاءَةِ سَفَرِ الرُّؤْيَا، بِالْعِبَارَةِ الْجَمِيلَةِ وَالْمُنِيرَةِ وَالْمَتَكَرِّرَةِ: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلْسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ»، حَتَّى نَقْرَنَ مَا تَعَلَّمْنَاهُ فِي صَوْمِ الْمِيلَادِ بِتَعْلِيمِ إِصْلَاحٍ وَتَجْدِيدٍ الْعَيْنِ فِي الصَّوْمِ الْكَبِيرِ.

ونستمر في رحلة الإصلاح.

### صوم الرُّسُل:

هُوَ الصَّوْمُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ صَوْمُ الْخِدْمَةِ لِإِصْلَاحِ الْفَمِ، وَنَسْمِيهِ أَيْضًا صَوْمَ الْكَرَازَةِ، وَالْكَرَازَةُ هِيَ بِالْفَمِ: «فِي كُلِّ الْأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ» (مز ١٩: ٤)، وَأَيْضًا: «بِكَلَامِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ» (مت ١٢: ٣٧). لِهَذَا ظَهَرَتْ فِي الرَّهْبَنَةِ فِلَسُفَةُ الصَّمْتِ «صَمْعٌ يَا رَبُّ حَافِظًا لِقَمِي، وَبَابًا حَصِينًا لِشَفَتَيَّ» (مز ١٤٠)، وَقَوْلُ الْقَدِيسِ

أرسانيوس: "كثيرًا ما تكلمت وندمت، أمّا عن صمتي فلم أندم قط".

الفم إذن، هو العضو الذي علينا أن نُكسّسه للشهادة والكراسة، ولنُطق كل ما هو للبنيان، ولتمجيد اسم الله وتسبيحه، فالفم لم يُعط لنا لننطق كلامًا سيئًا أو رديئًا، أو كلامًا مُعثرًا وهادمًا، أو لنلعن به الناس المخلوقين على صورة الله، أو ننقل أخبارًا خاصة عن الناس أو نُسبب عثرة لهم. والعالم اليوم يعاني من كثرة الكلام الذي لا يخلو من معصية، نتيجة سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي (social media)، فالجميع صار يتكلم، مَنْ يعرف وَمَنْ لا يعرف، في الأمور المفيدة والضارة، ويتداول آلاف الأخبار الصحيحة والكاذبة، والمعلومات الأمانة والدقيقة وأيضا غير الصادقة، فالجميع صار يُلقي بدلوه في عالم يُغلّفه الكذب والزيف والخداع. ونتذكّر هنا أن الكذب هو إحدى الفئات الثمانية التي أشار إليها الروح في سفر الرؤيا والتي لن تدخل ملكوت السموات (انظر: رؤ ٢١: ٨).

إذن ففلسفة الكنيسة في ترتيب هذا الصوم، هي إصلاح الفم واللسان ليكون كلامنا مُملحًا بملح، لأن الفم هو وسيلة الخدمة والشهادة والكراسة، فهو بالحقّ صوم الخدمة والكراسة وزرع اسم المسيح في كلّ قلب. وبهذه الصورة الحلوة يصير هذا الصوم مُعينًا شديداً للإنسان لكي يشهد للمسيح «أخْبَرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي»، وهو ضروري لكلّ مسيحي وليس للكهنة والرهبان فقط.

### صوم السيّدة العذراء:

صوم السيّدة العذراء هو من أجمل الأصوام في الكنيسة، وهو أقصر الأصوام الكبيرة وأحبّها لقلوب الجميع، وقد ربّته الكنيسة من أجل إصلاح القلب وتجديده.

فجهادنا الرئيسي في هذا الصوم هو لإصلاح وتجديد قلبنا، بعدما نكون قد جدّدنا القنوات الروحية الموصّلة له، أي الأذن والعين والفم، وذلك بمحاولة اقتناء القلب النقي. فنحن نجاهد من أجل أن نصل إلى نقاوة القلب، ليكون قلبنا هو القلب المسبّح، المُصلّي، الفرح بالله. ونحن الذين كرّسنا حياتنا لله، وانطلقنا إلى البريّة محبةً في اسمه القدوس، وبدأنا جهادنا مع الأذن ثُمَّ مع العين ثُمَّ مع الفم، مثابرين على ذلك كلّ يوم لنقتني القلب النقي، مصلّين كل يوم قائلين: "قلباً نقيّاً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدّده في أحشائي" (قطع الساعة الثالثة)؛ هل نعي هذه الكلمات التي نُصليّ بها؟ فنحن نُجاهد لأن يكون قلبنا نقيّاً: «طوبى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ» (مت ٥: ٨)، فهل صارت عينك الداخلية مستعدّة أن ترى الله وتُعاينه في الأحداث وفي الأشخاص وفي كلّ موقف في هذا الزمان الذي



تعيشه؟ كثير من الآباء قالوا: إنَّ هدف الحياة الواحد هو نقاوة القلب. فكلُّ إنسان يجاهد في حياته الموهوبة من الله لاقتناء نقاوة القلب في مخدعه وفي حياته، حتى يصير مؤهلاً لسكنى الله فيه، ومعاينته والحياة معه، وهذا هو ما يريد الله منا «يَا ابْنِي، أَعْطِنِي قَلْبَكَ» (أم ٢٣: ٢٦)، وعندما يأتي الوقت ويقف الإنسان قدام الله يقول له: ها قلبي أمامك يا ربُّ نقيّاً كما أردته مني، بمدخله الثلاثة: الأذن والعين والفم. ويصير قلب الإنسان في صوم السيّدة العذراء - ذلك الصوم الجميل - مسكناً لله يُظهر حياة النقاوة والتسبيح، كما قال القديس أوغسطينوس: "نحن لا نطوّب العذراء مريم لأنها حملت المسيح في بطنها، بل نحن نطوّب العذراء مريم لأنها قبل أن تحمله في بطنها حملته في قلبها".

فخلاصة جهادنا أن يحلَّ المسيح في القلب، ولا ينازعه آخر أو فكرة أو شهوة أو صورة أو أي خطيئة تعوقه عن التّربُّع على هذا العرش، ويكون جهاد الإنسان لحفظ القلب نقيّاً هدفًا ساميًا لنا في هذا الصوم، حسب القول: «فَوْقَ كُلِّ تُحْفَظٍ أَحْفَظُ قَلْبَكَ، لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ» (أم ٤: ٢٣). وأذكركم أيها الأحباء بالآية الواردة في سفر نشيد الأناشيد: «مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَقَاخَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ» (نش ١: ١٢)، أي: مادام المسيح مستريحاً على عرش قلبك، وفرحاً به ومالگاً عليه، فإن رائحتك الخاصة (نارديني)، والتمثُّلة في كلِّ كلمة أو سلوك أو نظرة، سوف تفوح برائحة المسيح الذكيّة؛ كما يكتب بولس الرسول لنا بالروح: «لَأَنَّ رَائِحَةَ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ» (٢ كو ٢: ١٥).

وهكذا تصير غاية رحلة حياتنا الطويلة هي أن يملك المسيح على قلوبنا، ليجعلها قلوباً مقدّسة. وحينما يأتي وقت انتقالنا للسماء نرُثُ ونُسبِّح بالفرح، إذ نكون قد أكملنا تقديس كلِّ أجهزتنا الروحيّة، فصارت أواني لمجد الله.

هذه هي فلسفة الكنيسة في الأصوام الكبيرة، وبالطبع هناك معانٍ أخرى روحيّة للأصوام الصغيرة، فكلُّ منها له هدفٌ ومعنى خاص، وجميعها للمساندة في مسيرتنا الروحيّة. ونحن على أعتاب بداية مسيرة الصوم الأوّل من الأصوام الكبيرة، صوم الميلاد، علينا أن نبدأ هذا الصوم ونحن مُدركون لأهميّة الصوم في صيانة أعضاء جهازنا الروحي؛ وأوّل هذه الأعضاء هو الأذن، فنُعِد القراءات والآيات والأقوال التي تُفيدنا وتدعونا لتقديس السمع، ويقظة الذهن والطاعة للوصيّة في صوم الميلاد.

## البابا تواضروس الثاني



## «لَا تَدِينُوا فَلَا تَدَانُوا»<sup>(١)</sup>

(لو ٦: ٣٧)



الله يُرِّر الفاجر:

+ يقول القديس بولس الرسول: «وَأَمَّا الَّذِي لَا يَعْمَلُ، وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُرِّرُ الْفَاجِرَ، فإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بَرًّا» (رو ٤: ٥)، فإن كنتُ أنا خاطئًا والشخص الذي أدينه خاطئًا، لكنني آمنتُ من كل قلبي أن الله قادرٌ أن يُرِّرَ هذا الخاطئ الفاجر الذي أدينه؛ فإيماني هذا يُحسب لي بَرًّا، وأصير أنا نفسي، الإنسان الخاطئ، شخصًا مُبرَّرًا من قِبل الله ... على أن إثبات إيماني هذا، أو دليل إيماني هذا هو أن يكون من كل القلب بلا أدنى تشكُّك، مصحوبًا بصلوات حارة قلبية من أجل خلاص نفسه، وبقلب ممتلئ بالحب نحوه، ونفس متألمة متنهدة من أجله، هنا يُحسب لي إيماني هذا بَرًّا ... مع أنني لم أجاهد ولم أتعب ولم أعمل أعمالًا جهادية في الفضائل؛ لكنني أتبرَّر مجانًا.

هَبْ أنك واقفٌ أمام الله في اليوم الأخير، وطلبتَ منه أن يُدخلك إلى ملكوته، فقال لك: "إنك رجلٌ خاطئ كيف تدخل، فليس مولود امرأة يتركي"، فتقول له: "إني لم أدينُ الخاطئ الفاجر، وأؤمن أنك قادر أن تُخلصه، لذلك أنا أطلب قبولي مع أي خاطئ"، حينئذ تسمع الصوت المُفرح: "ولا أنا أدينك"، فإيمانك هذا يُحسب لك بَرًّا ...

هناك قصة في بستان الرهبان عن راهب كان متهاونًا في حياته، وعند موته وجده الآباء في حالة فرح وسلام، فسألوه عن سبب هذه السعادة، فقال لهم: "إني لم أدينُ أحدًا في كل حياتي، لذلك عندما قُدم إليّ كتاب حياتي، للوقت صرخت إلى الله وقلت: نعم إني أعلم أنني متهاون وخاطئ ولكنني لم أدينُ أحدًا في حياتي. ففي الحال نظرتُ وإذا كتاب خطاياي قد تمرَّق بناء على الوصية القائلة «لا تدينوا لكي لا تدانوا»" (قول رقم: ٤٠١).

(١) من كلمات الأب متى المسكين في وادي الريان في الفترة ما بين سنة ١٩٦١ إلى سنة ١٩٦٩ م.

+ إيماني بالله الذي يُبرّر الفاجر يجب أن لا يتوقّف عند حدّ الإيمان النظري، بل ينبغي أن يكون عاملاً فيّ، ظاهرًا في مشاعري من نحو الخطاة، فأكون ساكنًا نفسي من أجلهم، ومُصلّيًا دائميًا لأجل خلاصهم، شاعرًا أنهم مقبولون في دم المسيح، ولأجلهم أتى المسيح إلى الأرض وليس لأجل الأبرار.

ينبغي أن أنتهّد وأئن لأجلهم وأسكب الدموع من أجل ضعفهم. إيماني هذا المُنفعل في داخلي يجعلني أتبرّر أمام المسيح.

الإيمان بأن الله يُبرّر الفاجر بلا قيد ولا شرط ولا أي استحقاق، يجعل الإنسان يتعجّب ويندهش جدًّا من رحمة الله وشفقته وحنانه على خليقته المؤمنة به وبدمه.

هذا الإيمان يدفع الإنسان دفعًا إلى حب الله وعبادته من كل القلب ومن كل الفكر ومن كل النفس، وتصبح عبادة الإنسان لله لا عن خوف ولكن عن حب ... وهي أسمى درجة روحانية. وهذا ما قصده المسيح من رسالته وحياته على الأرض أن يرفعنا إلى أعلى درجة من الروحانية.

هَبْ أنك وقفت أمام الله ودنت إنسانًا آخر مُعدّدًا خطاياها ذاكرا أنه كذاب، نجس، زاني، ظالم ... إلخ . فقال لك الرب: إني قد برّرتَه وقبلته وأدخلته إلي ملكوتي، فماذا يكون موقفك؟!

**الله الذي يدين هو نفسه الذي يُبرّئ:**

في نظر العالم إنّ القاضي الذي يُبرّئ المذنب يكون مُذنّبًا وغير عادل. ولكن هَبْ أن المتهم قد أذنب ضد القاضي نفسه، ثم وقف القاضي وبرًّا المذنب، فهل يُحسب هذا القاضي أنه مذنّب؟! علي العكس، بل يوصف بالشهامة والسماحة والصفح.

على هذا القياس نقول إن الله يُبرّئ المذنب لأن الخطايا موجّهة نحو الله، فإن كان الله يغفر الخطايا ويبرّئ المذنب؛ فهو يتنازل عن حقّه في دينونة المذنب إليه!

ولاحظ أنّ التبرير غير البراءة. فالبراءة هي أن يصبح الإنسان غير مذنّب بعد أن تمّت مسامحته، وأما التبرير فهو أن يتبرّأ الإنسان بل ويكافأ أيضًا. والمكافأة هنا هي هبات الروح

فأي فرح هذا الذي يكون للفاجر الذي يؤمن بالمسيح والدم فيتبرّر، لا لعملٍ عمله أو جهادٍ جاهدته، بل لأنه آمن بالله الذي يُبرّر الفاجر، فإيمانه هذا يُحسب له برًّا! مثل هذا الإنسان تكون علاقته مع الله علاقة حب وعبادة، وتكون علاقته بالناس علاقة ودّ ورحمة وتعاطف، وخصوصًا نحو الخطاة والعائشين في الخطية.

+ تخيّل أنك مُنطرح تحت صليب الرب والدم يقطر من جنبه ... إن الدم سوف يسيل وينزل عليك ويُطهر ويُقدّس ما فيك من أعضاء نجسة وشريرة، أما الأعضاء الطاهرة فلا ينساب فيها ولا يُغطّيها بل يتركها ... فالدم المسفوك هو من أجل الخطاة، وهو لا يُقدّس إلا النجسين والأشرار. أما الأبرار في أعين أنفسهم، فهو ليس لهم.

### مجيء المسيح خصيصًا للخطاة والأشرار:

«اُخْرِجْ إِلَى الطَّرِيقِ وَالسِّيَاحَاتِ وَالزَّمَهُم بِالْدُخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي» (لو ١٤: ٢٣). هؤلاء هم أعضاء المسيح المتألّمة والمتوجّعة، المجروحون والمزدرى بهم في العالم، هؤلاء سوف يمتلئ بهم ملكوت السموات ... إلى هؤلاء جاء المسيح وفنّش عنهم وما زال يفتّش!

+ “والزّمهم بالدخول ...”، فسّر البعض هذا القول في العصور الوسطى بأنه يجوز استخدام القوة في تعمد غير المؤمنين! ولكن هذا لا يمكن أن يكون ولا يتّفق مع روح الإنجيل. إنّ هؤلاء المساكين والخطاة المدعوّون لغرس الملك يشعرون في ذواتهم بالنقص الشديد وعدم الاستحقاق التام للدخول إلى بيت الملك ومكان الوليمة، فهم يتمنّعون جدًّا بسبب الخجل الذي يُصيبهم من جرّاء شعورهم الحقيقي بعدم الاستحقاق، فيُوصي السيد العبيد بأن يُلزمهم بالدخول حتى لا يظلوا خارجًا.

+ هل القديسون يشعرون بأنهم قديسون؟ وإن كان كذلك فكيف تبرّروا إن كان الله لا يُبرّر إلا الفاجر؟

القديس لا يشعر بأنه قديس؛ بل بالعكس، يشعر بعظم خطاياها. ولكن في الوقت



الذي يشعر فيه أنه بارٌّ يسقط من النعمة. وطالما يشعر بخطيته وجُرمه ويؤمن بالله الذي يُبرّر الفاجر، يصير إيمانه هذا مشتعلًا في قلبه، ويزيد الحب داخله من نحو الله وخليقته، واهبًا حياته كلها لمن أحبه وبرّره.

+ أي عذر للخاطيء بعد ذلك إن لم يأتِ إلى المسيح؟! هل خطاياك أكثر من خطايا المرأة الزانية التي أُمسكت في ذات الفعل؟ أم هي أكثر من خطايا العشار الذي أسلم نفوسًا بريئة إلى السجن والجلد ونهب بيوت الفقراء وظلم المساكين؟ أم تفوق خطايا اللص اليمين الذي عاش طوال حياته في النهب والقتل؟! ليس هناك أي عذر إن اعتفى أو استكثر على المسيح خطاياك، فالمسيح من أجله قد أتى «حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيئَةُ اِزْدَادَتْ النِّعْمَةُ جَدًّا» (رو ٥: ٢٠)، ففي الإنسان الذي ازدادت فيه الخطية جدًّا، يتمجد المسيح أيضًا جدًّا، وتعظم نعمته جدًّا.

إنَّ أعظم القديسين في الكنيسة هم الذين كانوا أعظم المُجرمين والخطاة. وقد عظمت النعمة معهم جدًّا! انظر إلى القديس أوغسطينوس الذي وصل إلى درجة روحانية عالية، كان يتخبّط في حياة الشر والفسق. وموسى الأسود القديس العظيم والأب الروحاني كان رئيسًا لعصابة شريرة للسرقة والقتل. والقديسة مريم المصرية كانت شرًّا للشباب، وفي عمق النجاسة تعيش.

أخيرًا يا إخوتي: «لَا تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلَامِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنَ اللَّهِ» (١ كو ٤: ٥).

الأب متى المسكين



## ومضات من أناجيل

### آحاد شهر كيهك



يُعتبر شهر كيهك موسم التسبيح الكنسي الأول في الكنيسة القبطية بإبداع ألعانه ونغماته المبهجة وسهراته المنعشة، فهو موسمٌ عزيزٌ على قلوب كل المسبحين، ينتظرونه بتلهُّفٍ واشتياق من عامٍ لعام، فيه نسبِّح الله ونتنعم ونتغنى بسر التجسد، نفرحُ بحلول الله فينا ونستعدُّ ليولَد في قلوبنا، ونعترف قدر ما نستطيع من البركات المذخورة لنا في سر تجسد الكلمة.

وينقسم شهر كيهك إلى أربعة آحادٍ، الأول هو أحدُ بشارَةِ الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان، وفي الأحد الثاني نرى الملاك بعينه يبشر العذراء مريم بميلاد عمانوئيل، يسوع ابن الله، أمّا الأحد الثالث فيحدثنا عن زيارة العذراء لأليصابات وتسبحة مريم الخالدة، بينما يروي الأحد الرابع والأخير ميلاد يوحنا ابن الموعود وتسبحة زكريا.

وسنكتفي في العدد الحالي (ديسمبر) بتقديم ومضات عن الآحاد الثلاثة الأولى على أن نقدّم الأحد الرابع في العدد القادم إن شاء الله.

#### الأحد الأول:

بخطواتٍ وثيدة<sup>(١)</sup> يجزُّ زكريا الكاهن الشيخ رجله متثاقلاً، ليدور دورته الطقسية حول المذبح، وبذراعه الكيلة ينثر بخوره من مجمرته يميناً وشمالاً، مردداً صلواته السرية القلبية عن نفسه وعن جيرانه وعن قرن الخلاص المنتظر وعن رجاء إسرائيل. لكنه على غرة يجد أمامه جبرائيل الملاك المنير واقفاً مُطّاراً عن الأرض فارداً أجنحته البديعة، ضاماً يديه على صدره آخذاً وضع صلاةٍ، بوجهٍ يتلأل فرحاً، حاملاً له بشارَةً لم يكن يتوقعها ولا حلم بها،

(١) هذه الخطوات الوثيدة وقَّعها مؤلف لحن مزموّر التوزيع الكيهكي إلى هزات متباطئة في أوله، والذي يتمعن في لحن هذه الأليلويا الأربع يجدها متكافئة ومتناسبة ومتوازنة مع أحداث أناجيل آحاد شهر كيهك الأربعة.

بميلاد يوحنا؛ فوقف مشدوهاً مأخوذاً من الرؤيا. أخذ وأعطى مع الملاك ثم بقي صامتاً غير مصدقٍ، فتعثر في خطواته وتباطأ في خروجه. وبقي المصلون خارجاً قلقين وحائرين، أخيراً خرج صامتاً فكلمهم بالإشارة ففهموا أن أمراً ما قد حدث.

في هذا الأحد نرى أن الله لا ينسى طلباتنا بل يذكرها<sup>(٢)</sup> وإن نسيناها نحن أو تناساها الدهر، وإن بدا أن الله يتأخر في الاستجابة فهذا لأنه ينتظر ملء الزمان. وفي أناته نستوثق نحن من إيماننا به وسماعه صلواتنا واستجابة دعائنا، ويستوثق هو من حبنا له. فأحياناً يسمح الله بتعطل إجاب نسلٍ ليعطينا فرصة للصلاة، ليس من أجلنا فقط، بل لنصلي لأجل كل من يجتاز في نفس محنتنا.

وغالباً ما يختلف ابن الصلاة عن الابن المعتاد، فهو مهياً أن يكون مباركاً ومقدساً ومفرراً للرب، وما أكثر البراهين على ذلك. فإسحق ابن الموعد كان ابناً لأبينا إبراهيم أبي الإيمان بعد ربع قرن من العقم، ويعقوب أبو الأسباط كان ابن إسحق أبينا الذي صلى لأجل زوجته رفقة العاقر، ويوسف العفيف كان ابناً ليعقوب وراحيل بعد عقرٍ دام طويلاً، وشمشون القاضي القوي هو ابن منوح البار وزوجته التقية، التي تحققت من كل ما قاله لها ملاك الرب<sup>(٣)</sup>، وصموئيل النبي هو ابن حنة المسكينة ذات الصلاة القوية، واليوم نرى يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء ابناً لزكريا الكاهن وأليصابات. ويعوزني الوقت إن أخبرت عن شهداء وقديسين كثيرين - هم ثمرة صلوات أبويهم- قدّموا حياتهم بخوراً زكياً للآب السماوي. انتظر الرب أيها الحبيب فمنتظرو الرب يجددون قوة (إش ٤٠: ٣١).

كان كلُّ ما حلم به زكريا مجرد طفلٍ عاديٍّ، وأما الله فأعدَّ له ابناً موعوداً، بل نبياً، بل أعظم من نبِيٍّ، لا بل ملاكاً، بل أعظم مواليد النساء. وكل ما وعد به الله زكريا بفهم الملاك تحقق تماماً.

النبوة	تحقيقها
قال الملاك: وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا (لو: ١٣)	ثُمَّ أَوَمَّأُوا إِلَى أَبِيهِ، مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمِّيَ. فَطَلَبَ

(٢) معنى اسم زكريا "الله يذكر أو يتذكر".

(٣) قض (١٣: ١٣، ٧-١٤).

النبوة	تحقيقها
وَيَكُونُ لَكَ فَرْحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلَادَتِهِ، (لو: ١٤).	لَوْحًا وَكَتَبَ قَائِلًا: «اسْمُهُ يُوحَنَّا» (لو: ٦٢-٦٣)
لأنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ (لو: ١٥).	وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا، فَفَرَحُوا مَعَهَا. (لو: ٥٨)
وَحَمَرًا وَمُسْكِرًا لَا يَشْرَبُ (لو: ١٥).	أَلْحَقْ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النَّسَاءِ أَكْثَرُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، (مت ١١: ١١).
وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. (لو: ١٥).	لأنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ (مت ١١: ١٨).
وَيَرِدُ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهِمْ. (لو: ١٦).	فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلْيَصَابَاتُ سَلَامَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلَأَتْ أَلْيَصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَصَرَخَتْ «... هُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلَامِكَ فِي أُذُنِي ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. (لو: ٤١-٤٤).
وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحٍ إِيْلِيًّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الْآبَاءِ إِلَى الْآبَاءِ، وَالْعَصَاةَ إِلَى فِكْرِ الْأَبْرَارِ (لو: ١٧).	حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورَشَلِيمَ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْدُنِّ، وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الْأَرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ (مت ٣: ٥-٦).
وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحٍ إِيْلِيًّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الْآبَاءِ إِلَى الْآبَاءِ، وَالْعَصَاةَ إِلَى فِكْرِ الْأَبْرَارِ (لو: ١٧).	وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهَذَا هُوَ إِيْلِيَّا الْمُزْمَعُ أَنْ يَأْتِيَ. (مت ١١: ١٤)
لِكِي يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا» (لو: ١٧).	وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِيْلِيَّا يَأْتِي أَوَّلًا وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. حِينَئِذٍ فَهَمَّ التَّلَامِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. (مت ١٧: ١١-١٣).
	فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً» (مت ٣: ٣).



عرفنا أن البشارة الأولى هي رد فعل واستجابة لصلوات زكريا وأليصابات، أمّا في هذه البشارة الثانية فالله هو الذي حمل على عاتقه زمام المبادرة. البشارة الأولى لها في العهد الأول من المسبّقات ما يؤيدها، ولكنّ البشارة الثانية فريدة من نوعها وستظل كذلك. هنا الله يدعو العذراء لتكون أمّا له بصورة أكثر إيضاحًا مما رآه موسى في العليقة. وأمومة العذراء لله صارت هي المصدر والينبوع لكل تطويب لها، لذا فتدعوها الكنيسة الممتلئة نعمة. يقول عنها ق. أثناسيوس: [مملوءة نعمة لأنها بكونها ممتلئة من الروح القدس ومظلل عليها بقوة العلي، فهي مغمورة بكل النعم]<sup>(٤)</sup>.

في مهمة جديدة يطير جبرائيل إلى العذراء ليبشرها بميلاد عمانوئيل. يعطيها السلام ويطوبها ويبشرها بميلاد يسوع منها. وبعد تعجّب العذراء وشرح الملاك بإيجاز عن كيفية الحبل الإلهي، تفهم العذراء جزئيًا<sup>(٥)</sup> معنى وغرض التجسد وتعي أن المولود منها هو ابنُ الله. يتوارد على قلبها نبوات الأنبياء ورجاء الآباء وأنيهم، ومُلك داودَ وتحقيق الوعد، فتفرح وتؤمن بالمستحيل. العذراء هنا تؤمن بإيمانٍ يفوقُ في قيمته إيمان إبراهيم. العذراء في إيمانها أضافت أبعادًا روحيةً للإيمان، بل نتجرأ ونقول إنها دشّنت مفهومًا جديدًا للإيمان. إنه الإيمان بالمستحيل بل بما هو فوق المستحيل، الإيمان بأن ليس شيءٌ غير ممكنٍ لدى الله، الإيمان الذي فيه الله هو الكل في الكل، الإيمان بقيمة ما يعمله الثالوث فينا، الإيمان الذي يقدر أن يجعلنا نتمخض إلى أن يولد المسيح فينا. والصعوبة التي تعوقنا عن السلوك بهذا الإيمان هي سهولته؛ وهي أن ندرك أن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل، يكفيننا فقط أن نهيب قلوبنا ونقول «لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ».

قال لها الملاك «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ» (لو ١: ٣٥). في الحلول والتظليل هذا إشارة صريحة بأن العذراء صارت تابوت عهدٍ جديدٍ كتلميحٍ لتابوت العهد الأول، الذي كان يحل عليه مجدُ الإله يهوه متمثلًا في الشاكيناه، والتي فيها كان يُعلن اللهُ

(٤) عظة في بشارة والدة الإله PG 28,929B

(٥) ربما لا نستطيع أن نقول إنّ العذراء وعَت سر التجسد بأكمله وفي هذا يظهر عمق وأصالة إيمانها.

حضوره من بين الكاروتين المظللين على الغطاء كل حين<sup>(٦)</sup>. فنقرأ في سفر الخروج: «وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ، مِنْ عَلَى الْعِظَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرَوِيِّينَ الَّذِينَ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ، بِكُلِّ مَا أَوْصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» (خر ٢٥: ٢٢)، «ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الْاجْتِمَاعِ وَمَلَأَ بِهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ» (خر ٤٠: ٣٤)<sup>(٧)</sup>. وحلول الروح القدس على العذراء فيه إشارة إلى الخليقة الجديدة في المسيح، لأننا نقرأ في الخليقة العتيقة أن «وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ» (تك ١: ٢).

### الأحد الثالث:

تطير مريم العذراء الحمامة الحسنة - محمولة على أجنحة الروح القدس - بسرعة واجتهاد لزيارة أليصابات قريبتها العجوز وهي حامل في الشهر السادس. هناك بين واسع بين العذراء الفتاة الصغيرة وأليصابات العجوز، في السن والتفكير والسبب والثقافة. ولكننا نرى هنا أن الروح القدس هو نقطة تلاقي الأجيال والثقافات والأعراق والأنساب. الروح القدس يتسامى فوق العادات والتقاليد والموروثات والطباع الشخصية. حضور المسيح والروح القدس يستطيع أن يختزل كل المسافات، فيزيل الفوارق ويبني جسور النعمة بين قلوب الآباء وقلوب الأبناء بل وبين الأعداء «فَصَارَ بِيْلَاطُسُ وَهِيَرُودُسُ صَدِيقَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ قَبْلُ فِي عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا» (لو ٢٣: ١٢). ومع ذلك لا يُشترط أن يعمل الروح بنفس الطريقة في الأجيال، ولا يمكن الحكم على طريقة ما أنها لا تخضع لعمل الروح، فحيث روح الرب فهناك حرية. وليس هناك داعٍ لأن يفرض الآباء على الأبناء أن يسيروا بنفس منهجهم، ولا أن يحكم الأبناء بعق و عقم منهج الآباء، دعوها ينميان كليهما، لأن الله هو الذي يُنمي.

أليصابات هنا هي نموذج للنفس التي بمجرد أن تمتلئ من الروح القدس تستطيع بسهولة عجيبة وتلقائية مباشرة أن تتحسس المسيح في قلوب الذين حولها فتتحرك أحشائها وتتضع أمامهم، وتشعر في قلبها بعدم استحقاقها الشركة مع هذه القلوب المباركة

(6) William Hendriksen and Simon J. Kistemaker, *New Testament Commentary*, Vol. 11, *Exposition of the Gospel According to Luke* (Grand Rapids: Baker Book House, 1953-2001), p. 88.

(٧) انظر أيضاً: (إش ٦٠: ٢؛ مت ١٧: ٥؛ لو ٢: ٩؛ رو ٩: ٤).

فتطوبها، وهنا يظهر ثمر الروح داخل قلب أليصابات في صورة معرفة واتضاع وامتنان وحب. كانت أليصابات تعي تمامًا عدم استحقاقها ولم يدخل الحسد<sup>(٨)</sup> قلبها مطلقًا وفرحت بصدقٍ لفرح مريم جدًا فكانت تسبحتها مملوءة بالحب.

العلماء يقسّمون تسبحة العذراء (التعظمة Magnificat) إلى أربعة أرباع (مقاطع شعرية stanzas / strophes). المقطع الأول (لو ١ : ٤٦-٤٨) وفيه العذراء تعظم الله على صنيعه معها رغم مذلتها. المقطع الثاني (لو ١ : ٤٩-٥٠) عندما يبلغ هذا التمجيد ذروته "اسمه قدوس" يتسع أفق العذراء الروحي ليتركّز ويتأمل ليس فقط في ما عمله الله معها، بل في المحبة الإلهية التي استعلنت «من جيل إلى جيل للذين يخافونه». المقطع الثالث (لو ١ : ٥١-٥٣) يوضح معاملات الله مع الذين لا يخافونه. المقطع الرابع (لو ١ : ٥٤-٥٥) يوضح أن رحمة الله التي أظهرت هي تكميل لوعده الذي أعطاه لآبائنا<sup>(٩)</sup>.

وقد لاحظنا رغم تسبحة أليصابات المملوءة بالحب وتسبحة العذراء مريم المملوءة بالإيمان، وحالة الامتلاء بالروح التي هيمنت عليها وعلى أليصابات وجنينهما، إلا أنه لا توجد أية ذكصولوجية تتوافق ليتورجيًا مع قراءات الأحد الثالث. من ثَمَّ كان هناك احتياجٌ لذكصولوجيا إنجيلية توثق وتُخلّد حدثًا جليلاً ونصًّا إنجيليًا في غاية الإبداع وهو زيارة العذراء لأليصابات وتسبحة مريم الخالدة. من هنا نقدم هذا المقترح المقتبس في معظمه من النص الإنجيلي.

<p>Βεν ni'e200w 'ete `uua7 : Maria          acwena3 `epitwot : `eotbaki `nte          lo7da : acer `acpa7acoe `n`E7icabec.</p>	<p>في تلك الأيام: ذَهَبَتْ مَرْيَمُ          إِلَى الْجَبَلِ : إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ يَهُوذَا :          وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتِ.</p>
<p>`E7icabec etacswtem : `epiacpacmoc          `uMaria : pua3 ac7im den tecne7i :          acmoc den pi7ne7ma eo7aB.</p>	<p>فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ : سَلَامَ          مَرْيَمَ : ارْتَكُضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا :          وَامْتَلَأَتْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.</p>
<p>Acw7 `e7o7 den o7niw7 `n`c7m : x7          te`c7apwot7 `n7o den ni7io7m :</p>	<p>وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ :          مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ : وَمُبَارَكُ</p>

(٨) «الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسَدُ» (١ كو ١٣ : ٤).

(9) William Hendriksen and Simon J. Kistemaker, op. cit., p. 103.

᾿ϥ᾿σμαρωοῦτ ἵνε πεκαρπος : κε τοῦτο ποθεν μι.	ثَمَرُكَ: فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا ؟
Χε ἱμασνοῦτ ἱ ἑαροι : ιςχεν ἑαρ αἰσωτεμ ἑπεασπασμος : ἑεν ναμαωχ πιμας αἱκιμ : ἑεν οὔθεληλ ἑεν τανεχι.	أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ أُمُّ اللَّهِ : لِأَنَّهُ مُنْذُ سَمِعْتُ سَلَامَكَ : فِي أُذُنِي ارْتَكَضَ الْجَنِيُّ : بَابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي.
Ουοε πεχε Uαρια χε : ταψῡχη ᾿σβιςι ᾿μ᾿Πος : απαπνευμα θεληλ ἑχεν πασωτηρ : χε αἱχοῦωτ ἑχεν παθεβιο.	فَأَجَابَتْ مَرْيَمُ وَقَالَتْ : تُعْظِمُ نَفْسِي الرَّبَّ : وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِمُخَلَّصِي : لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى وَضَاعَتِي [مَذَلَّتِي] .
Θηππε ἑαρ ιςχεν ἱνοῦ : σεναερμακαριζιν ᾿μμοι : ἵνε νιῑενα τηροῦ : χε φηετχορ αἱρι νηι ἵηλανμετνιωτ.	لَأَنَّهُ هُوَذَا مُنْذُ الْآنَ : سَتُطَوَّبُنِي : جَمِيعُ الْأَجْيَالِ : لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ.
Ουοε πεφραν πε ᾿χοταβ : ουοε πεφραι ωποπ ωα ἑνεε : ις ἑνεεας κε ἑνεεας : ἵνηετερβοτ ἑατεφχην.	وَأَسْمُهُ قُدُّوسٌ : وَرَحْمَتُهُ إِلَى الْأَبَدِ : إِلَى أَجْيَالٍ وَأَجْيَالٍ : لِلَّذِينَ يَخَافُونَهُ.
Αἱ᾿ιρι᾿νοῦκρατος ἑεν πε᾿χφοι : αἱχωρ ἑβολ ἵνηιδασιητ : ἑεν ᾿φμενι ἵντε ποῡητ : αἱβιςι ἵνηετθεβινοῦτ	صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ : شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ : بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ : وَرَفَعَ الْمُتَضَّعِينَ.
Αἱ᾿ττοτ᾿ ᾿μΠι᾿κραηλ : ἑερ᾿φμενι ᾿μπεφραι : καθως εταφσαχι νημ νημιοτ : Αβρααμ νημ πε᾿σπερμα.	عَظَّمَ إِسْرَائِيلَ : لِيَذْكُرَ رَحْمَتَهُ : كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا : إِبْرَاهِيمَ وَنَسْلَهُ .
Ανον ἑων तेनбисι ᾿μμο : νημ Ελ᾿ισαβετ ω ἱπαρθενος : χε τεσμαρωοῦτ ἵθο ἑεν νιῑιομ : ουοε ᾿ϥ᾿σμαρωοῦτ ἵνε πεκαρπος.	وَنَحْنُ أَيْضًا نُعْظِمُكَ : مَعَ أَلْيَصَابَاتٍ أَتَيْتِهَا الْعَذْرَاءَ : مُبَارَكَةً أَنْتِ فِي النِّسَاءِ : وَمُبَارَكٌ ثَمَرُكَ.
Χερε νε ω ἱπαρθενος .....	السَّلَامُ لَكَ أَيَّتُهَا الْعَذْرَاءَ .....
Πεν᾿θιο αρι πενμενι .....	نَسْأَلُكَ اذْكُرِينَا أَيَّتُهَا .....





# أتى وسيأتي<sup>(١)</sup>

الدكتور نصحي عبد الشهيد



لقد أتى المسيح إلى العالم ليُخلّص الخطاة، وقبل أن يترك هذا العالم وعد تلاميذه بأنه سيأتي ثانية بمجدٍ عظيم على سحب السماء. فما هي علاقة مجيئه الأول الذي تم بمجيئه الثاني الذي لا نزال ننتظره من جهة حياتنا وخلصنا؟

## لقد أتى المسيح:

«صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا» (١ تي ١: ١٥)، هكذا يعلن الرسول بولس متهللاً بمحبة الله ورحمته العجيبة وقصده الصالح، في أن يصنع بنفسه خلاصاً للبشر ويهبهم الحياة الأبدية: «بِهَذَا أَظْهَرْتُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِينَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ» (١ يو ٤: ٩).

لقد جاء المسيح من عند الآب ودخل إلى عالم البشر عن طريق مريم العذراء التي ولدته بالجسد، وكان القصد من هذا المجيء هو أن يُتمم خلاص البشر ويهبهم حياة أبدية. إنه ولد ليُخلّص: «أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لو ٢: ١١). فرغم تمرّد البشرية وعصيانها لله، إلّا أنه لم يَكْفَ عن أن يحبها، لأن المحبة هي طبيعته، ولذلك نراه يأتي إلينا بالجسد بمحبة فيأخذنا لكي يصنع علاجاً لمرض البشرية والفساد الذي أصابها بالخطية.

إنَّ يسوع في مجيئه إلى الأرض إنما يُعلن عن تفتيش الله وبحثه عنا، نحن الذين تركنا حضنه الأبوي وذهبنا إلى كورة بعيدة. لقد جاء يطلبنا، ليُخلّصنا بعد أن أهلكتنا الخطية:

---

(١) مقال سبق نشره في مجلة مرقس عدد يناير ١٩٧٣

«لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِيُطْلَبَ وَيُخَلَّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لو ١٩ : ١٠).

ولكي يُتِمَّ المسيح خلاصنا وضع ذاته عنَّا على الصليب، لكي يُبطل الخطية ويغلب الموت للذين أذلاً الإنسان واستعباده. وبصلب المسيح وقيامته من بين الأموات أكمل انتصاره على القوى المُعادية للإنسان: قوة إبليس العامل في الخطية والموت: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِيُيَبِّدَ بِالْمَوْتِ ذَلِكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ إِبْلِيسَ، وَيُعْتَقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ - خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ - كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عب ٢ : ١٤، ١٥).

لقد اشترك ابن الله معنا في اللحم والدم، إذ أنه قَبْلَ التجسُّد لم يكن له لحمٌ ودم، ولكنه لكي يبيد الموت كان لا بد أن يأخذ جسداً يستطيع بتقديمه للموت أن يغلب إبليس القوة الفاعلة في الموت. وفعلاً لقد غلب الرب يسوع بموته على الصليب (حتى قبل أن يقوم) قوة الشيطان. وبعد أن خلَّص النفوس التي كانت في الجحيم قام في اليوم الثالث مُعلنًا القيامة بالجسد بصورةٍ منظورة وملموسة. وبذلك صار هو باكورة الراقدين، أي أول من قام بجسد غالب للموت، لا يمكن أن يملك عليه الموت بعد ذلك. وبعد قيامته صعد إلى السماء راجعاً إلى الآب. وكما قال: «أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا» (يو ١٤ : ٢). إذن فقد مضى المسيح ليعيد لنا مكاناً عند الآب: «وَأَنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَأَخْذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يو ١٤ : ٣).

### وسياتي المسيح:

لقد وعد المسيح قبل صعوده إلى السماء أنه سياتي مرةً ثانية من السماء بقوةٍ ومجدٍ عظيم، وفي هذا المجيء الثاني الذي نعيش نحن الآن في انتظاره لن يظهر يسوع في صورة التواضع التي كان يُخفي بها مجده عندما أتى في المرة الأولى، بل سيظهر علانيةً على سحاب السماء: «هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَبُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ» (رؤ ١ : ٧). إنه سياتي في مجدٍ وبهاءٍ عظيمين وجلالٍ يفوق الوصف والتصور وجميع الملائكة القديسين معه (مت ٢٥ : ٣١). «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ» (مت ٢٥ : ٣١).

سيأتي لكي يجمع مُختاريه من كل مكانٍ على وجه الأرض. وفي هذا المجيء الثاني

المخوف والمملوء مجداً ستكون نقمة ودينونة للذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاكٍ أبدي ودينونة من وجه الرب ومن مجد قوته (١ تس ١: ٨، ٩)، أمّا للذين يعيشون في انتظار مجيء المسيح في صبرٍ وإيمانٍ وثبات، فإنهم يؤهلون عند مجيئه للشركة في مجد ملكوته.

ذلك أنه عند مجيء المسيح، الذي نعيش الآن في انتظاره، سيُقيم أجساد الراقدين في حالةٍ غير فاسدة، أي بأجسادٍ روحانية مثل جسد المسيح المُقام. أمّا المؤمنون الذين يكونون أحياء على الأرض ويعيشون في انتظار المسيح، فإنه سيُغيّرهم في لحظةٍ في طرفة عين بعد أن يُقيم الأموات، يُغيّرهم لتصير أجسادهم في الحالة الجديدة المناسبة لملكوت الله، أي على صورة جسد مجده. وهكذا يكتمل شمل الكنيسة في كل عصورها منذ بدء الخليقة إلى نهاية الدهور، وينجمع شملها مع المسيح رأسها لكي تشترك معه في مجد الملكوت مع الآب والروح القدس. وهذا هو عُرسنا الأبدي مع المسيح عريسنا السماوي.

### الفترة المتوسطة:

نحن لا نزال الآن ننتظر مجيء المسيح، المجيء المجيد من السماء، إذ نحن الآن نعيش في الفترة المتوسطة بين مجيئه الأول ومجيئه الثاني. هذه الفترة حاسمة وخطيرة بالنسبة لخلاص البشرية. إنها فرصة للتوبة ونوال الرحمة لكل من يتوب، لأن المسيح قد سبق وتَمَّ الخلاص في مجيئه الأول بصلبه وقيامته. والخلاص الذي تم في المجيء الأول معروض الآن على كل إنسان، حتى أن كل مَنْ يقبل المُخلّص الذي صُلب لأجله تُرفع عنه الخطية ويدخل ضمن الجماعة المفدية التي تتمتع بالشركة مع المسيح منذ الآن، وتنال غفراناً وتطهيراً لخطاياها بدم المسيح، وتنتظر بشوق وصبر مجيء المسيح ثانيةً من السماء ليُكَمِّل خلاصها بتغيير الجسد ودخول العُرس.

إنّ هذه الجماعة، أي الكنيسة، قد أعطاهها المسيح في عبادتها أن تجتمع باسمه لكي تنال - في هذه الفترة المتوسطة - ثمار عمله الخلاصي في مجيئه الأول، إذ تجتمع لكي تتحد بجسده الذي قدّمه ذبيحة على الصليب. ثم قام وصعد إلى السماء.

هذا الجسد المُمجّد يتّحد به المؤمنون ويشربون الدم الذي سفكه المسيح على الصليب. إذ هم يصنعون ذكرى آلامه وقيامته وصعوده. فانهم كُلمّا يأكلون ويشربون يُخبرون بخلاص الآب الذي تمّ في مجيء المسيح الأول، ويظلون يُخبرون ويبشّرون كُلمّا

اجتمعوا وكنمأ أكلوا وشربوا إلى أن يجيء الرب ثانية من السماء.

لقد كانت الكنيسة الأولى تُعبّر عن هذه الحقيقة أثناء عبادة القداس الإلهي، أي سر الشكر، مستعملة عبارة «مَارَانْ أَثَّا» (١ كو ١٦: ٢٢)، وهي عبارة آرامية كانت تُستعمل في خدمة الليتورجية الأولى، ومعناها: "الرب يأتى وسيأتى". وكانوا يقصدون بها أن الرب الذي جاء وأعطى جسده ودمه على الصليب يأتى الآن في وسط الكنيسة، في سر الشكر، وأنهم أيضًا ينتظرون مجيئه الثاني.

### إننا لا نزال ننتظر المسيح:

لأن الخلاص الكامل أي تغيير الطبيعة البشرية كاملاً يشمل الجسد أيضًا ليكون في غير فساد ولينال عدم الموت؛ كل هذا لم يتم بعد، بل سيتممه المسيح في مجيئه الثاني. وإن كان هو من ناحيته قد أكمل الخلاص، وأبطل الموت فعلاً في جسده، ولكن لا يزال للموت بقية في أجسادنا نحن. ولذلك فنحن نموت، ولكننا نموت منتصرين على خوف الموت، لأننا بهذا الموت الذي نموته الآن بعد قيامة المسيح، فإننا نخلع بقية الفساد الذي في طبيعتنا تمهيداً لتجديد هذه الأجساد بحالة مجيدة عند مجيء المسيح الثاني وبقوة هذا المجيء نفسه.

أيها الشاب العزيز، لقد جاء المسيح إلى العالم ليتمم الخلاص بصليبه وقيامته فما هو موقفك من محبته هذه؟ إن كان موقفك هو القبول، فهذا معناه أن هناك علاقة شخصية لا بد أن تربطك بالمخلص يسوع المسيح. وعلى هذا الأساس، أنت تأتي الكنيسة لكي تشترك معها في الإخبار بموت الرب عن طريق الشركة في جسده ودمه، وتظل تنتظر مع الكنيسة في سهر ويقظة إلى ذلك اليوم الذي فيه يأتى الرب ليكمل خلاصك مع الكنيسة كلها روحاً وجسداً.

هل يمكنك أن توحد نفسك مع كل الجماعة المقدسة التي أحبت الرب وتحبه على مر العصور، ويكون لسان حالك: "الرب قد أتى وأيضاً سيأتي في مجده" (قانون الإيمان)؟

+ «طوبى لمن يسهّر ويحفظ ثيابه» (رؤ ١٦: ١٥).

+ «نعم! أنا آتي سريعاً. آمين. تعال أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠).

# السَّهَرُ الرُّوحِي

«لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامُ؟ قُومُوا وَصَلُّوا...»

(لو ٢٢: ٤٦)

\*\*\*



تمهيد:

نستطيع - بكل وضوح - أن نلمح اهتمام الرب يسوع بموضوع السَّهَر، وذلك من خلال أحاديثه العديدة مع تلاميذه أو مع الجموع، ومن خلال بعض الأمثلة التي طرحها عليهم. فقد أسهب السيّد في تكرار وصيّته للجميع: "اسهروا"، وذلك في مناسبات عديدة، وأحياناً بربط السهر مع عمل رُوحِي آخر مثل: "اسهروا وصلُّوا" أو "اسهروا وتضرَّعوا" أو "كونوا مستعدين" وغيرها. ومن المهم لنا أن ندرك عمق المعنى والمفهوم الأصيل لوصيته: "اسهروا" الذي يقصده الربُّ، حتى يمكننا أن نُتَمِّمه بنجاح وأمانة، ونُجني المنفعة، ونُحقِّق القصد من هذه الوصيّة؛ وصية السَّهَر.

في الحقيقة، إنّ السَّهَر الذي قصد الربُّ يسوع أن نُتَمِّمه - بجانب كونه سهراً فعلياً - إلّا أنَّ القصد الحقيقي والأعمق له يكمن في ضرورة الاستعداد الدائم واليقظة القلبية والروحانية الدائمة، وفي ضرورة التوقُّع الدائم والاشتياق لمجيء الربِّ في أيِّ وقت. وبالتالي بالاستعداد الجيّد لاستقباله كعريس لحياتنا، وحينئذ نكون أهلاً للدخول معه إلى العرس السَّمائي بمصابيح مُضيئة، وحياة مقدّسة مستنيرة بزيت الأعمال المرضيّة أمام الله. وأن نكون أيضاً مستعدين في كلّ حين لهذا الحدث، حتى في نومنا الجسدي؛ حسب قول عروس النشيد بالروح: «أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ» (نش ٥: ٢)، وقول بولس الرسول: «... حَتَّى إِذَا سَهَرْنَا أَوْ نَمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ» (١ تس ٥: ١٠).

ولاشك في أنّ هذا الاستعداد القلبي واليقظة الروحية يستلزمان مِنَّا نوعاً من الجهاد الروحي والصبر والصوم والصلاة والأعمال المرضية أمام الله، مع الحرص الدائم في الحياة لئلا يخطف أحدٌ إكليلاً، أو يُضَيِّع تعبنا وجهادنا، فنفقد الطوبى والفرح المُعدُّ للساشرين (انظر: لو ١٢: ٤٠).

## لماذا يجب علينا أن نسهر؟ (مخاطر عدم السَّهَر):

في البداية نقول، إِنَّ وصِيَّةَ السَّهَرِ التي أوصانا بها الربُّ، هي في الحقيقة فرصة رائعة لمعاينة مجده والشركة معه؛ فالعذارى الحكيمات بسبب سَهَرِهِنَّ واستعدادهنَّ الفعلي والقلبي قد دَخَلْنَ مع العريس إلى عُرْسِهِ. وبطرس ويعقوب ويوحنا تلاميذ الربِّ، حينما انتبهوا من نومهم، أبصروا مجد الربِّ على الجبل المقدَّس مع موسى وإيليا؛ كما يذكر القديس لوقا البشير (انظر: لو ٩: ٣٢). والرعاة الساهرون نالوا فرح البشارة بميلاد الرب يسوع - من فم الملاك - فأسرعوا لينظروا المسيح المولود في بيت لحم. فالنوم إذن، قد يكون عائقًا يَحْرِمُنَا من التَّمَتُّع بمجد وأكلیل الساهرين المستعدِّين والمترقِّبين وصول العريس. وفيما يلي نعرض لأهم مخاطر عدم السَّهَر وعدم الاستعداد للقاء العريس:

١ - **مخاطر من اللصوص:** يقول الربُّ في إنجيل متى الرسول: «أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَرِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ، لَسَهَرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ» (مت ٢٤: ٤٣). والقديس بطرس الرسول يكتب في رسالته الأولى: «أَصْحُوا وَاسْهَرُوا. لِأَنَّ إِنْ لَيْسَ خَصَمُكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ» (١ بط ٥: ٨). مما سبق نرى أَنَّ الغفلة والنوم وعدم السَّهَر والاستعداد يمثلون مخاطرة شديدة للإنسان، تتمثَّل في محاربات إبليس وتجاريه؛ وهو أكبر الأعداء لنا، وذلك بحروبه وأفكاره، وزرعه لروح الكسل والتراخي في الحياة، حتى يفقد الإنسان رجاءه، ويبدأ في التخلي عن جهاده واستعداده، ويضيع تعبهُ، ويُسْرِقُ منه زمان توبته، ومن ثَمَّ يفقد إكليله يوم مجيء العريس.

٢ - **خطر الموت والدينونة:** الموت يمثِّل اللص الثاني الذي يأتي بغتة، ويمكن أن يَفَاجِئ الإنسان في أي لحظة، وفي هذا الأمر يكتب لنا القديس يوحنا الرسول بالروح، عبر مخاطبة الربِّ لملاك الكنيسة التي في ساردس فيقول: «فَإِنِّي إِنْ لَمْ تَسْهَرْ، أُقْدِمُ عَلَيْكَ كَلِصًّا، وَلَا تَعْلَمُ أَيَّةَ سَاعَةٍ أُقْدِمُ عَلَيْكَ» (رؤ ٣: ٣). فَإِنْ لَمْ يكن الإنسان مستعدًّا وساهرًا، فسوف يقف مرتعِبًا أمام منبر القضاء والدينونة، بوجه مُعَبَّس، ولا يقدر أن يُعْطِيَ جوابًا عن عدم استعدادهِ، وعن إهداره العمر باطلاً، وعدم إعداد نفسه بالسَّهَر والتوبة، ليزيَّ نفسه عند تقديم حساب وُكالتِهِ، بل إنه سيقول للآكام أن تَعْطِيهِ من وجه الجالس على العرش، وهذا ما حذَّرْنَا منه الربُّ بقوله: «لِيَلَّا يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا!» (مر ١٣: ٣٦). وَإِنْ كَانَ الإنسان

مستعدًا، فسوف يهتف: «لِي اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ» (في ١: ٢٣).

٣ - خطر التخلف عن دخول العرس السماي: يتحدث الكتاب المقدس عن العذاري فيقول: «وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ» (مت ٢٥: ١٠). إنَّ خطورة التكاسل وعدم السَّهر والاستعداد إنَّما تُعَرِّضُ النفس لمواجهة أقسى وأصعب حكم عليها، وهو الحرمان من الدخول والفرح مع العريس السماي؛ بعد ما يكون الباب الذي دخل منه الساهرون قد أُغْلِقَ. لأنَّ مَنْ أَرَادَ الْفَرْحَ فِي السَّمَاءِ مَعَ الرَّبِّ، لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعَدَّ الْعُدَّةَ لَاسْتِقْبَالِهِ بِالسَّهَرِ، وَانْتَظَارَ مَجِيئِهِ بِلا كَسَلٍ أَوْ مَلَلٍ، فِي أَيِّ وَقْتٍ وَأَيِّ سَاعَةٍ، وَذَلِكَ بِعَمَلٍ وَصَايَاهُ، وَمَلَأَ آفِيَّةَ قَلْبِهِ بِزَيْتِ النِّعْمَةِ الْمُقَدَّسِ، تَرْقُبًا لِحُضُورِهِ، سَاهِرًا مُتَّقِظًا، طَالِبًا سُرْعَةَ مَجِيئِهِ. كَمَا قِيلَ عَنْ سَمْعَانَ الشَّيْخِ وَحَنَّةِ النَّبِيَّةِ، وَالْآخَرِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْهَيْكَلِ، يَصُومُونَ وَيَعْبُدُونَ الرَّبَّ، مُنْتَظِرِينَ بِصَبْرٍ وَرَجَاءٍ مُعَايِنَةَ خُلَاصِهِ؛ فَتَحَقَّقَ لَهُمْ مُرَادُهُمْ، لِقَاءَ سَهَرِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ (انظر: لو ٢: ٢٥-٣٠، ٣٦-٣٨).

٤ - خطر الحرمان من معاينة مجد الرب: تَثَقَّلَتْ أَعْيُنُ التَّلَامِيذِ بِطَرَسٍ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا بَنُوِّ ثَقِيلٍ، وَهُمْ عَلَى الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ (انظر: لو ٩: ٣٢)، وَعِنْدَمَا انْتَبَهُوا مِنْ نَوْمِهِمْ عَايَنُوا مَجْدَ الرَّبِّ، وَظَهَرَ مُوسَى وَإِيلِيَا مَعَهُ، وَدَخَلُوا مَعَهُمْ فِي السَّحَابَةِ النُّورَانِيَّةِ. وَهَكَذَا يَظْهَرُ لَنَا، إِنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَسْتَقِظُوا مِنْ سُبَاتِهِمْ وَنَوْمِهِمْ؛ لَفَقَدُوا اسْتِعْلَانًا إِلَهِيًّا فَائِقًا. لِأَنَّ الْيَقِظَةَ وَالسَّهَرَ هُمَا مِنْ أَسْرَارِ مُعَايِنَةِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّهُمَا يَكُونَانِ شَاهِدَانِ عَلَى مَدَى الْإِسْتِعْدَادِ الْقَلْبِيِّ، وَالْيَقِظَةَ وَالِاسْتِيقَاقَ لِلِقَاءِ الرَّبِّ، وَهَذِهِ كُلُّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْسَاهَا الرَّبُّ.

٥ - خطر السقوط أمام التجارب والمحاربات الشيطانية: قَالَ الرَّبُّ لِتَلَامِيذِهِ: «إِسْهَرُوا إِذَا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلًا لِلنَّجَاةِ» (لو ٢١: ٣٦)، وَقَالَ أَيْضًا: «قُومُوا وَصَلُّوا لِيَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ» (لو ٢٢: ٤٦). وَفِي رُؤْيَا الْقَدِيسِ يُوَحَنَّا، يَقُولُ السَّيِّدُ: «أَنَا آتِي كَلِصًّا! طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِيَلَّا يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ» (رؤ ١٦: ١٥). فَالسَّهَرُ ضَرُورَةٌ لِحِفْظِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ مُقَابِلَ تَجَارِبِ الْعَدُوِّ وَسَهَامِهِ الشَّرِيرَةِ، وَهُوَ يَحْفَظُ لَنَا الْإِنْتِبَاهَ وَالْيَقِظَةَ الرُّوحِيَّةَ،

المصحوبة بالصلاة والاتضاع والانسكاب أمام الله، واللهج في ناموسه نهاريًا وليلاً، لننجو من فخاخ الشرير المنصوبة للمتكاسلين، إذ إنه يبدأ في صيد فرائسه بزرع الكسل وروح التراخي والنوم والخمول عندهم، فتبرد حرارة الروح فيهم، فيسهل إيقاعهم في الخطية. أمّا الساهرون والمستعدّون؛ فهؤلاء لهم الطوبى، وبنعمة سيدهم قادرون على ردّ سهام العدو وتجاريه عنهم.

### كيف نسهر روحياً:

حينما يطلب الربُّ منا أن نسهر، فهو بالطبع لا يقصد مجرد عدم النوم الجسدي فقط؛ بل لا بد أن يرتبط سهرنا هذا، بعملٍ يعملُه الإنسان اليقظ والمستعد والمجتهد والمشتاق للقاء سيده المسيح. ولعلّ هذه الأعمال التي يجب أن يتّسم بها سهرنا الروحي، هي التي تُمثّل الزيت القادر على إنارة مصابيحنا وقت مجيء العريس السماوي. ويمكننا تلخيص أهم هذه الأعمال فيما يلي:

• **السَّهَرُ مع الصلاة:** يقول الربُّ يسوع لنا: «إِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِيَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَتَسْهِطُ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ» (مت ٢٦: ٤١)، ويقول أيضاً في إنجيل القديس مرقس: «أُنْظُرُوا! إِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ» (مر ١٣: ٣٣)، ( وانظر أيضاً: مت ٢٥: ٣، مر ١٤: ٣٨).

• **السَّهَرُ مع الصوم:** يكتب معلمنا بولس الرسول موصياً الجميع بالسهر والصوم قائلاً: «بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخَدَامِ اللَّهِ ... فِي أَشْهَارٍ، فِي أَصْوَامٍ، فِي ظَهَارَةٍ...» (٢ كو ٦: ٤-٦).

• **السَّهَرُ مع الشكر:** يقول الرسول بولس لأهل كولوسي: «وَاطْبُؤا عَلَى الصَّلَاةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ، مُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ لِأَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا» (كو ٤: ٢، ٣).

• **السَّهَرُ مع الثبات في الإيمان:** يُطَوِّبُ يوحنا الرسول أولئك الذين أتموا وصايا الربِّ بالسهر على حفظ أنفسهم من العالم فيقول: «طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِيَلَّا يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ» (رؤ ١٦: ١٥). وكذلك يقول بولس الرسول: «وَحُدُّوا خُودَةَ الْخَلَاصِ وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلِبَةٍ كُلِّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بَعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَظَبَةٍ وَطَلِبَةٍ، لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ» (أف ٦: ٦).



١٨). ويقول أيضًا: «اسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الْإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالًا. تَقَوُّوا» (١ كو ١٦: ١٣).

● **السَّهَرُ مع الاستعداد والاشياق لاستقبال العريس:** إِنَّ الاستعداد لملاقاة العريس، يتطلب مِنَّا سلوكًا مقدَّسًا، وترقبًا دائمًا، مصحوبًا بالثمار الجيدة المناسبة لتقديمها للعريس السماوي. وَيُنَبِّهُنَا الرَّبُّ فِي إنجيل القديس متى الرسول إلى ضرورة التيقُّظ للحظة مجيء الربِّ بقوله بالروح: «لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ» (مت ٢٤: ٤٣)، وانظر أيضًا: (لو ٢١: ٣٦، مت ٢٥: ٤٢).

### مكافأة الساهرين:

لقد طَوَّبَ الرَّبُّ يسوع أولئك الساهرين مراتٍ عديدة، داعيًا الجميع للسهر والاستعداد، ومعطيًا من نفسه مثالًا لتلاميذه ولنا، في السَّهَر والصلاة أمامهم في أكثر من مناسبة. ونذكر هنا بعض الأمثلة التي قدَّمها السيِّد لنا بهذا الخصوص:

❖ **السَّهَر يهبنا استحقاق الدخول إلى عُرْس الحَمَل:** في مثل العذارى، وصف الرَّبُّ أولئك العذارى الساهرات والمستعدات بالزيت، بالعداري الحكيمات. وختم البشير المثل بقوله: «والمستعدات دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ. وَأَغْلِقَ الْبَابَ» (مت ٢٥: ١٠). فالرَّبُّ أعطى المستعدات النصيب في العُرْس السماوي، لقاء استعدادهن وسهرهن لاستقباله.

❖ **السَّهَر ينجِّبنا من الدينونة:** فالسَّهَر يساعدنا على الاهتمام بأحوال حياتنا الروحية، فلا نتوه وتثقل قلوبنا بنوم الغفلة، ونؤخذ للدينونة دون استعداد؛ كما يقول لوقا البشير: «احترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار، وسُكْر وهموم الحياة، فيصادفكم هذا اليوم بغتة» (لو ٢١: ٣٤)، ثم يعود ليشجعنا بقوله: «اسهروا إِذَا وتضرَّعوا كلَّ حين، لِكَيْ تَحْسَبُوا أَهْلًا لِلنَّجَاةِ» (لو ٢١: ٣٦).

❖ **السَّهَر يَمُنِّحنا حظوة أمام الله،** فيجزل لنا العطاء، ونكون مُكْرَمِينَ في ملكوته: ففي مَثَل الوكيل الأمين؛ يُطَوَّبُ الرَّبُّ هذا الوكيل الأمين في وكالته، والسالك في وصاياه، في التعامل مع رفقاءه، فيُقيمه على كلِّ أمواله، فيقول عنه: «طُوبَى لِذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذَا! أَلَحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ» (لو ١٢: ٤٣، ٤٤). وفي مَثَل العبيد الساهرين المنتظرين رجوع سيِّدهم، يطوَّبهم الرَّبُّ كما يكتب البشير: «طُوبَى لَأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. أَلَحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَمَنِّطُقُ وَيُكْرِمُهُمْ وَيَقْدِّمُهُمْ وَيَخْدُمُهُمْ» (لو ١٢: ٣٧). (البقية صفحة ٣٨)



# التلحين الليتورجي

للأب نيكيتا أسقف رمسيانا



## مقدمة:

الأب نيكيتا هو من آباء القرن الرابع (٣٣٥-٤١٤)، وقد عاصر جهاد الكنيسة ضد الأريوسية، ودافع عن إيمان مجمع نيقية ولاهوت الروح القدس. وقد استقينا معلوماتنا عن حياته ونشاطه الرعوي وما كتبه عن التلحين الليتورجي من صديقه المعاصر له: بولينوس أسقف نولا الذي سماه "الأب القديس". وكان نيكيتا أسقفًا لرمسيانا التي تقع جنوب شرق صربيا حاليًا. وكان قد كرز باسم المسيح بين قبائل إقليم "داكيا" (بلغاريا ورومانيا حاليًا) لعدة سنوات وأدّت كرازته إلى ثمار مفرحة. كما كان مؤلفًا للألحان الليتورجية باللغة اللاتينية. وعظته هذه عن "التلحين الليتورجي" تسلط الضوء على التسبيح في الكنيسة الأولى.

لقد وُجِدَت الألحان في العبادة منذ بداية المسيحية. فالرب يسوع سبّح بالمزامير (مر ١٤: ٢٦)، كما نصّح بولس الرسول بالترتيل في العبادة (١ كو ١٤: ١٥؛ كو ٣: ١٦). ولكن يبدو أن آباء القرن الرابع رفضوا الآلات الموسيقية في العبادة، ولكن نيكيتا ذكر في عظته التالية استعمال الدف فقط. فالمسيحيون يرتلون في حضرة الله وليس من أجل متعة بشرية! ويخبرنا ق. أغسطينوس كيف أنه تأثر بعمق لدى سماعه الألحان الكنسية فيقول: [ما أشد تأثيرها عليّ! إنها تجري إلى أذني وتوصل الحقيقة لقلبي، فتندفق مشاعر التقوى وتتساقط الدموع بغزارة، وهذا إنما هو خيرٌ لي ونعمة]<sup>(١)</sup>. وهو يرفض وضع جمال الصوت في مرتبة أعلى من الكلام المرتل، فيقول: [إنني أتأرجح بين خطر المتعة الحسية بالألحان واختبار تأثيرها النافع، لكن أتجه أكثر إلى استحسان عادة الترنيم في الكنيسة حتى يمكن للنفس الضعيفة أن تصعد بواسطة مسرّات الأذن نحو الخشوع والتقوى في العبادة]<sup>(٢)</sup>.

(1) *Confessions*, 9:6.

(2) *Ibid.*, 10: 33.

فلنستمع جميعًا بحلاوة الألحان والتسبيح كذبيحة حب تفرّج قلب الله بفهم وتقوى، في انسجام واتفاق دون مباهاة أو تظاهر في الحضرة الإلهية وشركة الملائكة والقديسين كما اختبر وعاش آباء الكنيسة الأولى.

\*\*\*

## نص العظة<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

لقد وعدتُ سابقًا أن أتكم عن الخدمة بالتسبيح والمزامير، فسأوفي بوعدي في هذه العظة. إنني لا أرى أن هناك وقتًا أفضل من هذا الذي فيه يُعتبر أبناء النور الليل مثل النهار والذي يمنحنا فيه الليلُ السكون والهدوء، والذي فيه تُمارس هذه الخدمة. فهذا هو وقت الحديث عن التلحين الليتورجي حيث اجتمعنا معًا لهذا الغرض.

إنني أدرك أن البعض منّا يعتبرون أن تلحين المزامير والتسبيح أمرًا غير ضروري. فهم يرون أن ما نُرتله باللسان يكفي أن نقوله بالقلب. وهم يبنون رأيهم على الآية: «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، مَتَرَنِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ» (أف ٥: ١٨ و١٩). وهذا يعني أن نرتل في قلوبنا ولا نُحدث ضجيجًا بالنعمة الموسيقية مثل الممثلين على المسرح. لأن الله، الذي يفحص القلوب، يكفيه أن يكون ترتيلنا صامتًا وفي القلب. أمّا أنا فلي وجهة نظر مختلفة. فبالطبع لا يوجد خطأ في الترتيل بالقلب. ففي الحقيقة إن التأمل بالقلب في أمور الله إنما هو أمر صالح على الدوام. ولكنني أعتقد أيضًا أنه أمرٌ جديرٌ بالثناء أن يمجد الناس الله بأصواتهم.

### إثبات أهمية التلحين من الكتاب المقدس:

وسوف أثبت ذلك بتقديم عدة نصوص من الكتاب المقدس. ولكن يجب عليّ أولاً أن ألجأ إلى نص الرسول ذاته لكي أفند به حماقة الذين يدينون التلحين الصوتي. حقًا، بالطبع، إنَّ الرسول قال: «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ». لكنه أيضًا قصد، ليس بدرجة أقل، أن نفتح أفواهنا ونحرّك ألسنتنا ونطلق شفاهنا لسبب بسيط هو

---

(3) *The Fathers of the Church*, Vol. 7, p. 65.

أنه لا يستطيع أحد أن يتكلم بدون تلك الأعضاء. فالتكلم والصمت يختلفان كاختلاف السخونة والبرودة. لاحظوا أن الرسول يقول: «مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيٍّ رُوحِيَّةٍ»، فهو بالتأكيد ما كان يذكر الأغاني الروحية لو كان يريد أن يكون المرتل صامتًا تمامًا. فالحقيقة البسيطة هي أنه لا يستطيع أحد أن يرتل ويظل صامتًا في نفس الوقت. وعندما يقول الرسول: «في قلوبكم»، فهو يريد أن يحذرنّا ألا نرتل بأصواتنا وحدها بدون أي شعور في قلوبنا. وهكذا أيضًا، فإنه في نص آخر يقول: «أَرْتَلُ بِالرُّوحِ، وَأَرْتَلُ بِالذَّهْنِ أَيْضًا» (١ كو ١٤: ١٥)، فهو يقصد الترتيل بالصوت والذهن كلاهما معًا.

أما الاعتراض على التلحين فهو من اختراع الهراطقة<sup>(٤)</sup>. فعندما يبرد إيمانهم يخترعون الأسباب لرفض التلحين. فهم، بذلك، يُخفون كراهيتهم للأنبياء، ولا سيما النبوات الخاصة بالخالق. إنهم، تحت مظهر التقوى، يحاولون إسكات كلام الأنبياء، وفوق كل شيء أناشيد داود السماوية.

أيها الأحباء، لقد تربينا على كل تعاليم الأنبياء والأنجيل والكتابات الرسولية. فلنضع أمام عيوننا كل ما قاله وعمله أولئك الذين ندين لهم بكل ما نحن عليه. دعونا نحتكم لسلطان الذين تكلموا من البداية لكي نثبت كيف أن الأناشيد الروحية مرضية عند الله. وإذا تساءلنا عمن هو أول من أدخل هذا النوع من الترتيل لعلمنا أنه موسى النبي. فقد رتل لله لحناً رائعاً بعد أن أصيبت مصر بالضربات العشر وغرق فرعون وتحرك شعب إسرائيل نحو البرية وهم ممتلئون بالفرح بالعبور المعجزي للبحر الأحمر. فقد سبّح الرب قائلاً: «فلنسبح الرب لأنه بالمجد تمجد» (خر ١٥: ١)<sup>(٥)</sup>. إذن، فأول مَنْ أَسَّس خوارس مرتلين هو موسى النبي قائد قبائل إسرائيل. وقد جعل من الرجال والنساء جوقتين، حيث جعل من نفسه ومريم أخته قائدين للرجال والنساء، فعلمهم أن يرتلوا لله لحن النصر. ثم رأينا دبورة – السيدة المتميزة المذكورة في سفر القضاة – تؤدّي نفس الخدمة (نشيد دبورة وباراق بعد انتصار شعب الله – انظر: قض: ٥). كما أن موسى أيضًا، عندما كان على وشك مفارقة هذه الحياة، رتل نشيداً ملهمًا ومهوباً (تث ٣٢). وقد ترك هذا النشيد نوعاً

(٤) لعله يقصد الهراطقة الذين رفضوا العهد القديم مثل ماركيون وماني.

(٥) وهو الهوس الأول في تسبحتنا اليومية، ويبدأ لحن "آسومين توكيريو" في عيد العنصرة وصوم الرسل بهذه الكلمات.

من العهد لشعب إسرائيل لكي يتعلّموا نوع المناحة التي يجب أن يتوقعوها إذا تخلّوا عن الله. والويل للذين رفضوا التخلّي عن الخرافات المحرّمة بعد سماعهم مثل هذا الإنذار الواضح.

### داود النبي هو أمير المرتلين:

بعد ذلك ستجدون الكثير من الرجال والنساء الذين رتّلوا بأسرار الله وهم ممتلئون من روح الله. وكان منهم داود النبي الذي مُنح في صباه دعوةً خاصةً لهذه المهمة، وبنعمة الله صار أميرًا للمرتلين وترك لنا كنزًا من الترتيل. لقد كان لا يزال صبيًا عندما أخضع الروح الشرير الذي كان يعمل في شاول بترتيله الحلو القوي بقيثارته (١ مل ١٦ : ١٤-٢٣). ليس لأنه كان في القيثارة أي نوع من القوة، بل لأنها بإطارها الخشبي وأوتارها المشدودة كانت ترمز لصليب المسيح. لقد كان يرتل بآلام الرب وهي التي أخضعت روح الشيطان.

ستجدون في مزامير داود النبي كل ما أمكن أن يساعد في تهذيب وتعزية الرجال والنساء من جميع الطبقات والأعمار. المزمور يواسي الحزاني ويخفف من انفعال الفرحين ويهدئ الغاضبين ويعزّي الفقراء ويحرك ضمائر الأغنياء. المزمور يقدّم دواءً لجميع الذين يقبلونه بمن فيهم حتى الخطاة الذين يجلب لهم شفاء التوبة المقدّسة والدموع. لقد أعدّ الله بالروح القدس بواسطة داود خادمه دواءً قويًا بما يكفي لعلاج جروح الخطيئة، ولكنه حلو المذاق بسبب اللحن الذي يُنشّد به. لأنه عندما يُرتّل مزمورٌ يحلو للأذن، فهو يدخل إلى النفس لأنه مُسرٌّ ويمكن حفظه بسهولة إذا تم تكراره مرات عديدة.

### ألحاننا تحتوي على كل ما هو مُعزّي:

الاعترافات، التي لا يمكن لصرامة القانون أن تنتزعها من القلب، تتم عن طيب خاطر تحت التأثير الحلو للنشيد. إذ تحتوي تلك الأناشيد، للذين يتأملون فيها، كل ما هو مُعزّي مما جاء في الناموس والأنبياء وحتى الأناجيل. فإن أسرار المسيح يتم التغيّي بها. التجسّد يُشار إليه بوضوح، والأكثر من ذلك يُشار إلى رفض المسيح من قِبَل الشعب الجاحد له والترحيب به بين الأمميين. معجزات الرب يُتغّي بها، وآلامه الموقرة توصّف، وقيامته المجيدة تتجلّى، كما يُذكر جلوسه عن يمين الآب. وبالإضافة إلى كل ذلك يُعلن مجيء الرب في سحابة المجد، ودينونته الرهيبة للأحياء والأموات تُستعلن. أتوجد حاجة لقول

المزيد؟ يوجد أيضًا في المزامير التنبؤ عن إرسال الروح الخالق وتجديد العالم الذي سيتبعه الملكوت الأبدي للأبرار في مجد الرب والعقاب الأبدي للأثمة.

هذه هي أناشيد كنيسة الله. هذه هي الأناشيد التي تمتلئ بها حناجرنا هنا في جماعتنا هذه. إنها ليست تسليّة للمرتل بقدر ما هي مسئولية. إنها تُطفئ الأهواء (أي الشهوات) بدلًا من إثارتها. وبلا شك، فإن هذه الأناشيد مرضية عند الله حيث إن كل شيء يتعلق بها موجّه فقط إلى تمجيد الخالق. ومرنّم المزامير الذي قال: «كل نسمة فلتسبح الرب» (مز ١٥٠: ٦)، هكذا يحث كل واحد وكل شيء لتسبح الله الضابط لهم جميعًا؛ قال أيضًا: «أسبح اسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد» (مز ٦٩: ٣٠)، وبذلك فهو يعد أن يقدم التسبيح بنفسه. ثم يضيف قائلاً: «فُيَسْتَطَاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف» (مز ٦٩: ٣١)، إذ يقدم شيئًا أكثر سموًا، ذبيحةً روحية أعظم من كل ذبائح الحيوانات. وهذا هو ما ينبغي أن يكون. ففي مثل تلك الذبائح كان يُسَفَك دم حيوانات غير عاقلة. أمّا التسبيح العاقل، فيُرفع من القلب ومن ضمير صالح. وبالحق قال الرب: «ذبيحة الحمد تمجديني، وها هو الطريق الذي بواسطته أريه خلاص الله» (مز ٥٠: ٢٣ سبعينية). فسبحوا الرب، إذن، في حياتكم، وقدّموا له ذبيحة التسبيح، وبذلك تُظهرون في نفوسكم الطريق الذي به تأتون إلى خلاصه.

### تسبحنا يُبهج الرب:

التسبيح الصادر من ضمير نقي يُبهج الرب، وهكذا فإن المرتل يحثنا بقوله: «سبحوا الرب لأن المزمور جيد ولإلهنا يلدّ التسبيح» (مز ١٤٧: ١ سبعينية). وإذ يدرك المرنم كيف أن هذه الخدمة مرضية عند الله يقول أيضًا: «سبع مرات في النهار سَبَّحْتُكَ» (مز ١١٩: ١٦٤). ويضيف إلى ذلك وعدًا آخر بقوله: «ولساني يلهج بعدلك، اليوم كله بحمدك» (مز ٣٥: ٢٨). فبدون شكّ إنه كانت له خبرة بالصلاح الذي تؤدّي إليه هذه الخدمة، لأنه يذكّرنا بقوله: «أدعو الرب بالتسبيح فأَتَخَلَّص من أعدائي» (مز ١٧: ٤ سبعينية). إنه حَظْم، وهو صبي، قوة جليات الجبار الهائلة بمثل درع الحماية هذا، وفي أحداث أخرى عديدة خرج منتصرًا على المحتلين.

(يتبع)



## يوحنا المعمدان



جاء "أعظم مواليد النساء" يهْيئ الطريق أمام خالقه الذي تجسّد في ملء الزمان. جاء مَنْ هو "أعظم من نبيّ" ليختم الحقبة التي فيها كلّمنا الله بالأنبياء وبيشّر بحقبة جديدة عجيبة يُكلّمنا فيها الله في ابنه (انظر: عب ١: ٢-١). هذه المهمة جليّة القدر أكملها يوحنا المعمدان على أكمل وجه؛ أكملها ليس فقط بكرازته، بل أيضًا بحياته. فلنا حتى في ما يبدو أضعف لحظات حياته وأضعف كلمات قد فاه بها أعماق وآفاق، درسٌ وعبرة.

**هذا هو حمل الله!**

قدّم يوحنا المعمدان أوّل الإعلانات للجموع التي كانت تحيط به. كان يوحنا ابن كاهن، ويدرك تمامًا دور الحَمَل في أسفار العهد القديم، بدءًا من قُربان هابيل (تك ٤)، مرورًا بسؤال إسحاق لأبيه عن خروف المحرقة (تك ٢٢)، وبعد ذلك خروف الفصح (خر ١٢)، وكذلك حَمَل المحرقة الصباحية والمسائية (خر ٢٩). ومن هذه الخلفيّة تحدّث المعمدان عن المسيح باعتباره «حَمَلَ الله الَّذِي يَرْفَعُ حَاطِيَةَ الْعَالَمِ» (يو ١: ٢٩).

عندما سأله: «مَنْ أَنْتَ؟» لم يُقل عن نفسه: "أنا هو"، بل «لَسْتُ أَنَا» (يو ١: ٢١)، والمرة الوحيدة التي أشار فيها إلى نفسه قال: «أَنَا صَوْتُ» (يو ١: ٢٣)، والصوت لا يُرى ولا يشغل حيّزًا من الزمان أو المكان. لم يرَ في نفسه أكثر من مجرد صوتٍ لصارخٍ في البرية، لكن كانت نظرة الرب ليوحنا عظيمة جدًّا؛ فاليد التي استحت أن تحلّ سُبُورَ حذائه أعطاهَا أن توضع فوق رأسه.

**أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟**

وقف المعمدان في منبره المنحوت في الصخر، ممتلئًا نفسه بكل يقينيّة الإيمان. لم

يكن في صدره أي أثر للريبة أو الشك. لقد أشار إلى المسيح بكل يقين وثقة قائلاً: «هَذَا هُوَ» (يو ١: ٣٠). لكن يا للفارق العظيم بين هذا الإعلان، وبين تلك الرسالة الأليمة: «أَنْتَ هُوَ ... أَمْ ...؟»! لقد أرسل تلميذه إلى الرب يسوع قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» (مت ١١: ٣).

عندما أودع المعمدان في يأس ذلك السجن المُظلم، تَوَقَّع أن يتدخل السيد لإنقاذه بطريقة ما. ألم يقرّر صراحةً في تلك العظة الأولى في الناصرة، والتي سمع عنها، أنَّ ضمن برنامجهِ الإلهي، الذي لأجلهِ مُسِح، هو أن يفتح أبواب السجون، وينادي للمأسورين بالإطلاق (انظر: لو ٤: ١٨). لكن مرّت الأسابيع والشهور، ولم تأتِ الإغاثة. لم يستطع قلب يوحنا أن يجد تعليلًا لذلك، وخشي أن يكون قد أخطأ في التحقق من شخصية المسيح. كان المعمدان ينتظر أعمالًا عظيمة وخطوات تحريرية جبارة يقوم بها مسيّا، فتتم على يديه المواعيد العظيمة التي وعد الله بها الشعب، فلما قُبِضَ عليه وأُلْقِيَ في السَّجْن، بدأت الشكوك تدبُّ في قلبه.

لقد كان المعمدان ابن صحراء، كان طليقًا يتمتع بالحرية. إذا ما نام بالليل أو عمل في النهار، امتدت السماء فوقه بمساحاتها اللانهائية. وعندما وجد نفسه مُكبَّلًا بالأغلال، محبوسًا في غُرْفَةٍ مُظلمة، سادت عليه الكآبة والحزن وانقباض النفس. تَعَطَّشَ إلى الحرية تَعَطَّشَ العصفور المحبوس، وتاقت نفسه إلى أن يتحرك دون أن يسمع صليل القيود، وأن يشرب من مياه الأردن الصافية، وأن يستنشق نسيم الصباح، وأن يتطلَّع إلى فضاء الطبيعة اللانهائي. وهل نجد صعوبة في أن نفهم كيف كان لقيوده رد فعل على حالته النفسية؟ وكيف كان لوهنه هذا تأثير على نفسه؟

إن تركيبنا الجسماني مُتَنَاهٍ في الدقَّة، ويا لها من تعزية لا حدَّ لها أن نعرف أن الله يُدرك كيف تضطرب طبيعتنا بسهولة! إنَّه يعزو شكوكنا ومخاوفنا إلى مصادرها الحقيقية. إنه يعرف أن القوس قد انثنى إلى درجة قريبة من الانكسار، وأن الحبل قد شُدَّ إلى أقصى درجات الاحتمال. إنه لا يُوبَّخ حُدَّامه عندما يرتمون تحت رتمة، طالبين لأنفسهم الموت، بل يُرْسِل إليهم طعامًا ويُمَتِّعهم بنوم عميق (انظر: ١ مل ١٩: ٥-٨)؛ وعندما يُرْسِلون من سجونهم متسائلين: «أنت هو؟»، لا تُسمع منه كلمة توبيخ، بل



كلمات تشجيع (انظر: مت ١١: ٧-١٤).

كان يوحنا قد «سَمِعَ فِي السَّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ» (مت ١١: ٢)، لذلك أرسل اثنين من تلاميذه، قائلاً لهما: اذهبا واسألاه عما إذا كان علينا أن ننتظر آخر. لقد كانت ليوحنا معرفة جزئية عن المسيح. فتساءل في نفسه هل هذا هو كل ما فعل؟! ألا يُستخدم الرفش لِيُنْقِيَ الحنطة، والنار ليحرق؟ لقد كان هذا ما يتوقعه، وما تعلّم أن يتوقعه من الأنبياء<sup>(١)</sup>. لم يكن يتوقع أن يأتي المسيح بهذا الأسلوب الهادئ، وهكذا وقع في بالوعة الشكّ هذه، لأنه عجز عن أن يدرك تمام الإدراك شخصية المسيح. لذلك أرسل اثنين من تلاميذه، قائلاً لهما: اذهبا واسألاه عما إذا كنّا ننتظر آخر، من طراز مختلف؛ فيكون كالنار والزلزلة والعاصفة.

وقف التلميذان وسط الجماهير إذ كان طابور المرضى والمجانين البائسين يمرّون أمام السيد، وينطلقون وقد نالوا الشفاء وال خلاص؛ حتى الموتى كانوا يُقامون. وإذا انتهى السيد من شفاء الجميع التفت إليهما، وبنغمة رقيقة عذبة قال لهما: «اذهبا وأخبرا يوحنا بما تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: الْعُمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ» (مت ١١: ٤-٥). لقد كانت إجابته إجابة غير مباشرة. لم يقل لهما: أنا هو الذي كان ينبغي أن يأتي، ولا داعي لانتظار آخر. فلو أنه قال هذا لكان قد اقتنع عقل يوحنا لا قلبه.

كانت الإجابة غامضة. يقيناً أنه إن استطاع أن يفعل كل هذا لأمكنه أن يفعل ما هو أكثر. إن القوة التي شفت المرضى والعرج والعُمى وأخرجت الشياطين، تستطيع بلا شك إنقاذ يوحنا. هذا جعل قلبه أكثر رغبة في أن يسمع مظاهر القوة هذه. كان يجب أن يتعلم بأن الرب شفى هؤلاء المساكين لأن طبيعتهم لم يكن ممكناً أن تحتل حصداً أوفر، فنفسهم لم تكن تحتل الحرث العميق الذي لا يُستخدم إلا في التربة العميقة. أمّا يوحنا

---

(١) تكلمت نبوات العهد القديم من جهة عمل المسيا الموعود به من الله في خطيئتين، أحد هذين الخطيئتين يتكلم عن مجيء المسيا في جلال مجده، والخط الآخر يتكلم عن مسيا متألّم مُتَضَع يموت مصلوباً كأنه مهزوم من ضعف. نراه في مزمور ٢٤ «مَلِكُ الْمَجْد» وأمامه تُفْتَحُ الأبواب الدهريّة، هو عِيْنُهُ الذي نراه في مزمور ٢٢ صارخاً قائلاً: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ ... غَارَ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ ... لَا تَتَّبَاعِدْ عَنِّي ... أَسْرِعْ إِلَى نَصْرَتِي» (مز ٢٢: ١٩؛ ١١؛ ٦؛ ١١؛ ١٩).

فلأن طبيعته كانت قادرة أن تُعطي أعظم الثمار في فلاحه الله، فقد تُرك منتظرًا، فبينما نال الآخرون البركة ومضوا إلى حال سبيلهم، كان باقيًا ليوحنا ثلاثة أشهر فقط، وفيها كان يجب أن يعمل الصبر والإيمان عمله التام.

ختم الرب كلماته للتلميذين «وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ» (مت ١١: ٦). لقد وضع الرب في متناول المعمدان بركة أولئك الذين آمنوا ولم يروا، الذين يعرفون كيف ينتظرون الرب، والذين يثقون فيما يعرفونه عن قلبه وإن لم يستطيعوا أن يدركوا كل تصرفاته. هذه هي بركة مَنْ لا يعثرون في غوامض تصرفات الله في حياتهم.

### أَعِدُّوا فِي الْبَرِّيَّةِ طَرِيقَ الرَّبِّ

جاءت الآية في الأناجيل الإزائية هكذا: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: "أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً"» (مر ١: ٣) حيث تم اقتباس الآية حسب الترجمة السبعينية من (إش ٤٠: ٣). وقد يفهم منها أن صوت المعمدان، لإعلان مجيء الرب، كان في بادية يهوذا<sup>(٢)</sup>. فهل هو صوت يصرخ في الصحراء، لا يسمعه أحد؟ أم أنه صوت يستدعي تهيئة طريق في الصحراء حيث يصعب السير؟

النص العبري يقول: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: "أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلًا لِإِلَهِنَا"» (إش ٤٠: ٣). وبالتالي فإن السبعينية أسقطت "فِي الْقَفْرِ" على اعتبار أنه تكرار لعبارة "في البرية". وعند قراءة إشعياء ٤٠، يتضح أنه يتكلم عن مواساة إسرائيل، فيسجل إشعياء كلمات تعزية سيحتاج إليها الشعب في وقت لاحق: حينما سيكون السبي في بابل على وشك الانتهاء، والأمر يحتاج لتمهيد الطريق بين بابل وأورشليم حتى يتمكنوا من العودة إلى أورشليم<sup>(٣)</sup>.

---

(٢) الكلام هنا ليس عن دعوة المعمدان والتي هي بكل تأكيد في بركة يهوذا (انظر مت ٣: ١)، لكن عن صوت المعمدان وكراته.

(٣) كان الحكام الشرقيون يرسلون في أغلب الأحيان رجالًا أمامهم ليعدوا الطريق بإزالة الصخور الضخمة، حتى أنهم كانوا ينشئون الممرات ويمهدون الأماكن المرتفعة. وفي حالة اليهود العائدين من السبي سيكون كما لو أن الرب نفسه يسير في المقدمة ويخلي الطريق من أية عوائق. فهؤلاء شعب يهو، وإتمام وعده بإعادتهم إلى موطنهم سيجعل مجده يتجلى أمام كل الأمم.

إذا أخذنا في الاعتبار علامات الترقيم طبقاً للنص الماسوري<sup>(٤)</sup>، فإن قراءة النص تكون على النحو التالي: «صَوْتُ صَارِخٍ: فِي الْبَرِيَّةِ أَعْدُوا طَرِيقًا لِلرَّبِّ» وهذا يُغَيِّرُ قليلاً من معنى الجملة. فَإِنَّ كَلِمَةَ **בְּמִדְבָּר** (بمِديبار) أي "فِي الْبَرِيَّةِ" لا تعني المكان الذي يُرْفَع منه الصوت، ولكن المكان الذي يجب أن يُعَدَّ فيه طريق الرب. ومن ناحية أخرى، فَإِنَّهُ من الشائع في النص العبري تكرار عبارة مرتين باستخدام كلمات مختلفة. ولذلك في إشعياء (إش ٤٠: ٣) يُقترح ترتيبٌ مختلفٌ: **صَوْتُ صَارِخٍ: «أَعْدُوا فِي الْبَرِيَّةِ طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوُّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلًا لِإِلَهِنَا»** (إش ٤٠: ٣). وهكذا نرى أَنَّ الكلمة التي لم يتم اقتباسها في السبعينية وكذلك علامات الترقيم غير الموجودة في العبرية والسبعينية وأيضاً اليونانية لغة العهد الجديد يمكن أن تُفَسِّح المجال للعديد من المعاني.

كلمة "برية" بالطبع هي مكان جغرافي محدّد، لكن كلمة "البرية" المذكورة في النصوص الإيزائية (مت ٣: ٣؛ مر ١: ٣؛ لو ٣: ٤) تعني أكثر من ذلك. فإذا أخذنا النص في نسخته اليونانية، نجد أن كلمة "صحراء" **ἐρημος** "لها معانٍ عديدة. ويمكن أن ترتبط هذه الكلمة بشخص ما، فتصفه بأنه "محرور، مُهْمَل، وحيد، أو متروك"، أو حتى "امرأة أهملها زوجها" كما قيل «افْرَجِي أَيْتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اِهْتَفِي وَاصْرُخِي أَيْتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلَادَ الْمُوحِشَةِ (أولاد الزوجة المهجورة **τὰ τέκνα τῆς ἐρήμου**) أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا رُؤُجٌ». لذلك يصرخ صوت، هذا الصوت يُسَمَعُ في هذه الأماكن غير المأهولة، هذه الأماكن الصحراوية، أعني الشخص المنبوذ والمتروك. هذا الصوت يصرخ: "هيئ الطريق للآتي".

لكل الذين تاهوا في صحراء العزلة وجميع الذين يسكنون الأماكن القاحلة هذه، يصرخ صوت: هناك طريق واضح، هو الذي قال عن نفسه: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ» (يو ١٤: ٦). في مجتمع لم يعد يعرف إلى أين يَتَّجِه، تَمَرِّقُه المشاعر الغامضة والظلم والعنف وغياب

(٤) أضاف النص الماسوري حروف العلة على النص الأصلي لتسهيل القراءة، وأضاف عدداً معيناً من العلامات الصغيرة للترتيل، فالآية التي نحن بصددّها جاءت هكذا **קוֹל קוֹרֵא בְּמִדְבָּר פָּנֵי יְהוָה יִשְׁרָה בְּיַרְדֵּה** **מִסְלָה לְאֱלֹהֵינוּ** (إش ٤٠: ٣)، نلاحظ أنّه يوجد على الحرف الأخير من كلمة "קוֹרֵא" (صارخ) علامة صغيرة (: تشير إلى نهاية مجموعة من الكلمات، أي نهاية مقطع. مما يعني أن كلمة "קוֹרֵא" (صارخ) تُنْهِي هذه المجموعة من الكلمات؛ وعليه فالمقطع الأول من الآية "קוֹל קוֹרֵא" صوتٌ صارخٌ بعده وقفة صغيرة، وكلمة "فِي الْبَرِيَّةِ" تكون تابعة لما يليها.

الفكر والمعنى، تبدو حياتنا أحيانًا كالبادية. فيعاني المرء من أوقات الصحراء هذه ومن صعوبة الطريق! كيف يمكن للإنجيل أن يتخلَّل الحياة ويُعطيها معنى؟ هل يخرج الإنجيل صارعًا في الفيافي فلا يسمعه أحد؟ أم أنه جاء ليصرخ أن شيئًا ما آتٍ في هذه الصحراء؟ صوت يستدعي تهئية طريق في الصحراء حيث يصعب السير. هربت هاجر وهي حُبلى إلى الصحراء بسبب غيرة ساري، لكن هناك أعادها الرب وسمع لمذلتها وأنجبت إسماعيل الذي يعني اسمه "الله يسمع" (تك ١٦ : ١١). فإن كانت الصحراء مكانًا للجفاف واليأس، ومكانًا للتجربة، فهي مكان ينضم فيه الرب لِمَنْ يدعونه.

صوت يصرخ في صحارينا، عندما نشعر بالوحدة و التخلِّي، فيتجلَّى حضور الرب. هذا هو المكان الذي يركز فيه يوحنا المعمدان. إن كان إشعياء في زمانه يُعلن عن الحرية، والعودة من المَنفى، وإعادة بناء مستقبل جديد، فبشارة يوحنا المعمدان تُعلن عن "الآتي"، الرب يسوع المسيح.

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\* بقية المقال: ادخل إلى العمق: السهر الروحي (المنشور صفحة ٢٨) \*\*\*\*\*

### ختام:

يُنَبِّهنا الحكيم في سفر الأمثال قائلاً: «إِلَى مَتَى تَنَامُ أَيُّهَا الْكَسْلَانُ؟» (أم ٦ : ٩)، وأيضًا يقول الحكيم: «مَنْ يَنَامُ فِي الْحَصَادِ فَهُوَ ابْنُ مُخْرٍ» (أم ١٠ : ٥). إذًا فهي ساعة لنستيقظ فيها، كقول معلّمنا بولس الرسول: «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ» (أف ٥ : ١٤)، فالروح يدعونا للنهوض، كما أيقظ النواتية يونان قديمًا: «مَا لَكَ نَائِمًا؟» (يون ١ : ٦). فعلينا أن نهض من رقادنا، ونشُدُّ أحقّاءنا، ونستعدّ للقاء العريس، بالسهر والجهد والصلاة، وحفظ أنفسنا بلا دنس في العالم؛ مستندين على نعمة روح الله القدوس، وعلى إرادة التوبة والانسحاق عندنا، حينئذ سوف نَسْتَحِقُّ - بنعمته - أن نلقاه بوجوه لامعة مضيئة، ونذهب في معيَّته لنَسْعِدَ بنصيبنا مع جمهور المجاهدين والساهرين والمخلصين في ملكوته.

# في مفهوم الشركة الكنسية

( ١٣ )

أعضاء جسد المسيح

العلمانيون والإكليروس (تابع)<sup>(١)</sup>



ليس من تعارض بين كنيسة تُعلم وكنيسة تتعلم

لا يوجد في الأرثوذكسية تعارض بين: "كنيسة تُعلم" و"كنيسة تتعلم"، أي أنّ الرؤساء يُعلّمون ولهم دور إيجابي، أمّا العلمانيّون فيجلسون ويستمعون ولهم دور سلبي. كانت صياغة المجمع الرسولي في أورشليم: «لأنّه قد رأى الرّوح القدس ونحن» (أع ١٥: ٢٨)، هي الصياغة لكلّ مجمع مسكوني، وهي أساس بناء المفهوم المجعبي للكنيسة الأرثوذكسية.

عرّف المطران فيلاريت Metropolitan Filaret هذا بمفهوم الجماعةية sobornost principle، أي أن:

”الكل كائون معاً، والكل بالتالي يجمعون بواسطة الله في كنيسة واحدة، التي هي المستودع الحقيقي للتقليد المقدّس. يُقصد بكلمة "المؤمنين" الرّئاسة الكنسية والعلمانيون معاً، الذين يكونون عناصر الجسد التي لا تنفصل والتي يكمل بعضها بعضاً. هذا ينفي أي تعارض بين: "كنيسة تُعلم" و"كنيسة تتعلم"، فالكنيسة كلّها كنيسة تُعلم وكنيسة تتعلم في نفس الوقت“.

ويضيف الأب بول إفدوكيموف ويقول:

”لا يوجد أي تعارض بين "كنيسة تُعلم" و"كنيسة تتعلم"، إنها الكنيسة كلها التي تُعلم الكنيسة، تماماً كما أنّ في كلّ تعليمها الإنجيل يوجّه للفرد، ولجميع النّاس“.

العلمانيّون أشخاص رسوليون

ليس مصادفة أن تُقرأ الأعداد الأخيرة من إنجيل متى أثناء خدمة المعمودية (بحسب الطّقس

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris، The Eye Cannot Say to the Hand "I Have No Need of You" Light and Life، 2005.

البيزنطي): «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨: ١٩)، وبهذه القراءة، فالإرسالية العظمى توجه كما يقول الأب بول إفدوكيموف لكل مسيحي معمد وممسوح بالميرون، ليصير "شخصًا رسوليًا منذ المعمودية"، ومدعوًا ليعطي شهادة دائمة للمسيح من خلال حياته وأعماله.

عبر رئيس الأساقفة أنتوني بلوم عن المركز العالي للعلمانيين في الكنيسة الأرثوذكسية بحسب التعبير الكتابي: «كهنوت ملوكي» (١ بط ٢: ٩) عندما قال ذات مرة: عندما سُئِلْتُ عن كياني قلت: «أنا علّمانى حدث أن صار رئيس أساقفة».

### العلمانيون مكرسون

الكنيسة الأرثوذكسية تعتبر عامة الشعب والأساقفة والكهنة كشعب الله، فالجميع كُرس في: الـ «الkehnot الملوكي» المُعطى للمؤمنين من خلال سرّ مسحة الميرون.

أكّد الأب أليكساندر شميمين على هذا عندما كتب يقول:

«اعتدنا أن نفكر أن "الرّسامة" هي بالتحديد العلامة المميّزة للكهنة، فيصير هناك نوعان: المرسومون كهنة والعلمانيون، الذين هم المسيحيون غير المرسومين؛ وهنا أيضًا تختلف الأرثوذكسية عن الكهنوت الغربي، في الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانت. إن كانت الرّسامة الكهنوتية تعني أولًا منح هبات الرّوح القدس لتكميل دعوتنا كمسيحيين وأعضاء الكنيسة، فكل علّمانى يصير مسيحيًا من خلال رسامة. نحن نجد هذا في سرّ الميرون المقدّس الذي يلي سرّ المعمودية، وإلا فلماذا يكون هناك سرّان وليس سرًّا واحدًا فقط للانضمام إلى الكنيسة؟ لأنه إن كانت المعمودية تجدد فينا طبيعتنا البشريّة الحقيقية، والتي أظلمت بالخطية، فسّر الميرون يُعطينا القوّة الإيجابية والنّعمة لنكون مسيحيين، لننصّرف كمسيحيين، لنبني معًا كنيسة الله، ونكون شركاء مسؤولين في حياة الكنيسة».

جميع المسيحيين مدعوون من خلال الكهنوت الذي نالوه في المعمودية أن يعملوا عمل الكنيسة ويكنّوا الكنيسة. هم مدعوون ليس فقط أن يذهبوا إلى الكنيسة، ولكن ليكونوا هم الكنيسة أينما ذهبوا.

## مسحة الميرون المقدّس: سر الكهنوت العام

يجعل الأب بول إفدوكيموف هذا واضحًا عندما يقول:  
"كلُّ شخص معمّد قد حُتِمَ بالمواهب، ومُسَحَّ بالروح القدس في عمق كيانه. كلُّ شخص علّمانى كاهن في كيانه وحياته، لأنه يُقدّم لله ذبيحة حياته ووجوده كله".

إفدوكيموف يتوسّع في أهمية سرّ المسحة ويسميه:  
"سرّ الكهنوت العام ... سرّ القوّة التي تُسلّحنا كجنود ومُصارعين للمسيح ... علامة الصليب التي يُدهن بها كل الجسم بالزيت المقدّس تمثّل السنة نار يوم الخمسين ... كل شخص مُعمّد هو كائن خاريزماتي بالكمال ... وضع اليد متطابق مع ذلك الذي يُجرى للمتقدّم للحياة الكهنوتية ... وهذا المعنى الرمزي لا يُخطئ، فهو يشير إلى تخصيص الحياة كلّها لله"<sup>(٢)</sup>.

فأن تقول إذن أنّ دور الشعب العلّمانى في الكنيسة سلبى، فالأب إفدوكيموف يقول إنه:  
"تعارض فاضح مع تعليم الآباء".

### مدعوون إلى دور إيجابى لا سلبى

وهكذا، وبحسب بولس الرسول، الكنيسة ليست قطارًا يقوده الكاهن، وفيه الأعضاء العلّمانيون هم الرّكّاب، ودورهم أن يجلسوا في هدوء، ليُحمّلوا إلى المكان المتّجهين إليه في السماء. أفضل دحض وتفنيد لهذا التصوّر عن الكنيسة هو بولس الرسول ونظرته عن الكنيسة كجسد، حيث كل عضو، حتى لو كان تافهًا أو غير مُهم، له وظيفة حيويّة ليؤدّيها، وكلمات مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan ترن وتقرع عن صدق هنا فتقول:  
"لا يوجد مسافرون في سفينة الكنيسة، كلّنا ملأحون".

إذا كان للكنيسة أن تعمل بكفاءة كجسد، فالكاهن ليس سائق قطار، ولكنه أكثر من ذلك، فهو سائق هدفه أن يوجّه ويدبّر أعضاء الفريق، العلّمانيين، ليقدموا خدمة لله. هو يبحث ليستكشف، وينمّي، ويشجّع الوزنات الخاملة في رعيّته. هو يبحث كيف يستخدمها في الشهادة المسيحية والخدمة للمحتاجين والمتألّمين لبناء جسد المسيح.

---

(2) *Ages of the Spiritual Life*. Paul Evdokimov. SVS Press. Crestwood, N.Y. 1998.

الخاريزما التي نحتاج أن نبحث عنها ونتطلّع إليها اليوم في الكهنة المرسومين هي موهبة البصيرة، أي القدرة على التعرّف على مواهب الرُّوح القُدُس في كلّ شخص في الجماعة، والعناية بأنّ مثل هذه المواهب تنمو وتُستخدَم لمجد الله وعمله من خلال الكنيسة.

### أمثلة لمشاركة العلمانيين

ما يلي، هو بعض الأمثلة عن كيف تشارك العلمانيّون في رسالة الكنيسة، ولنبدأ ببعض الأمثلة المعاصرة.

قبل عام ١٩٢٣م، اختير البطريرك المسكوني من خلال مجمع مُشترك من ثمانية علمانيّين، وأربع مطارنة.

اختير أليكسيس Alexis الثاني بطريرك موسكو من خلال ٦٦ أسقفًا، و ٦٦ من العلمانيّين، الممثّلين لأبروشيات روسيا.

كريسوستوم Chrysostom رئيس أساقفة قبرص، وبطرس Peter السابع بطريرك الإسكندرية اختيرا من خلال مشاركة العلمانيّين<sup>(٣)</sup>.

في تاريخ الكنيسة المُبكر، كان العلمانيّون هم الذين يختارون أساقفتهم، وعلى سبيل المثال، نقرأ في وثيقة الكنيسة المبكرة والمُسمّاة بالديداخي Didache: "وأنتم، يجب عليكم أن تختاروا لأنفسكم أساقفة وشمامسة على أن يكونوا رجالًا لهم حُظوة لدى الله، مُخلّصين، تجرّبوا حسنًا، لطفاء، كرماء".

بل وحتىّ القديس كبريانوس St. Cyprian، المُدافع القوي عن رُتبة الأسقفية قال لكهنوته:

**[منذ بداية تنصيبني للأسقفية، قرّرت ألا أفعل شيئًا بدون نصيحتكم ورضاء الشعب].**

وعندما أراد القديس أوغسطينوس St. Augustine أن يختار واحدًا بنفسه ليكون خَلَفًا له، فإنه استدعى المرشّح أمام محضر من الجمع وقال له: "أريد أن أرى موافقتهم"، وطلب منهم الهمّات بموافقتهم، فصاح الناس: "موافقون، ليكن هكذا".

كما يوجد لدينا مثالًا آخر من القرن الخامس عن الأسقف روستيكوس Rusticus، أسقف

---

(٣) من البين أن هذا هو المتّبع أيضًا في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، إذ أن البطريرك يُنتخب بواسطة العلمانيين.



ناربون Narbonne، الذي قام بسيامة رئيس الشمامسة لديه ليكون أسقفًا على أهل بيزيرس Beziers، وتجاهل روستيكوس أن يسأل شعب بيزيرس، فما كان منهم إلا أن أعادوا هذا الأسقف الجديد للتوّ له.

المراسيم الرسولية تكتب بخصوص دور العلمانيين في اختيار الأسقف فتقول: "دع الأسقف يُسام بعد أن يختاره الشَّعب. عندما يُسرَّ الجميع بذاك الذي وافقوا عليه، دَع الشَّعب يجتمع في يوم الرب مع جميع الكهنة والأساقفة الموجودين، وعندما يُظهر الجميع موافقتهم، دَع الأساقفة يضعون أياديهم عليه، وليقف الكهنة صامتين، وفي الحقيقة يقف الجميع صامتين، وهم يُصلُّون بكلِّ قلبهم ليحلَّ الرُّوح القُدس على الشَّخص المُختار".

هذا يوضِّح دورًا موقَّرًا للعلمانيين في اختيار أساقفتهم، ويضمن أن هؤلاء الأساقفة المُختارين سيكونون رجالًا مُحترمين، أجلاء، مُستقيمين، رعاة صالحين، أنبياء، وليس مجرد من يُؤدُّون وظيفة.

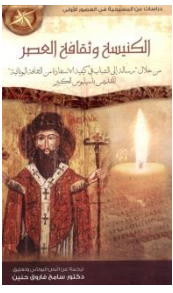
وبحسب كلمات الأب جون كريسافجيس John Chrysavgis: "السُّلطة الكنسيَّة يجب أن تُعرَّف بعبارات الخدمة وليس القانون؛ بالشركة والحوار وليس السَّيطرة والهيمنة؛ ولكي يحدث هذا، يجب اعتبار المؤمنين أنَّهم شعب الله الموهوبون، ولا يُعاملون كأشياء أو قطع خاص للسلطات بل يُعاملون كأشخاص".

### دور العلمانيين في الليتورجيا

دور العلمانيين النشط والفعال يتَّضح جدًّا في الليتورجيا. كلمة "ليتورجيَّا" هي يونانيَّة، ومعناها "عمل جماعي وشعبي"، المسؤولية فيه تتطلَّب العمل المُشترك من كلِّ واحد.

الأب أليكساندر شميمين ألقى ضوءًا قويًّا على مشاركة العلمانيين الفعال في الليتورجيا عندما كتَب يقول:

"جميع الصَّلوات في الكنيسة الأرثوذكسيَّة تُكتَب بصيغة الجمع: "نحن"، فنقول: "نُقَدِّم، نشكر، نطلب، نسبِّح، نُصعد، نُؤمن ... إلخ، ومن ثمَّ يكون الشخص العلماني بطريقة مباشرة جدًّا خديمًا مُشاركًا للكهنة، هذا الذي يُقدِّم لله صلوات الكنيسة كُلِّها، والتي تمثِّل كلَّ الشَّعب، وهو يتضرَّع أمام الله عنهم كُلِّهم".



## الكنيسة وثقافة العصر (١)

من خلال رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى الشباب:  
"في كيفية الاستفادة من الثقافة اليونانية"  
ترجمة عن النص اليوناني وتعليق  
دكتور سامح فاروق حنين



هل تتعارض المعرفة الكنسية مع ثقافة العصر؟ كيف تعاملت الكنيسة الأولى مع الفلسفة المعاصرة لها؟ ثم هل ترفض الكنيسة العلوم الثقافية نهائياً أم تتعامل معها بشكل انتقائي؟ هذه أسئلة مطروحة منذ القديم. لقد تباينت وجهات النظر بين آباء الكنيسة فيما يخص الفائدة المرجوة من دراسة المسيحيين للأدب اليوناني ما بين الرفض والقبول.

البعض منهم (كالآباء المدافعين) حارب هذه الفلسفة وهاجمها بعنف، ولعل أشهرهم هو القديس يوحنا ذهبي الفم في الشرق والعلامة ترتليانوس في الغرب. فهؤلاء كانوا يُعارضون أن تكون تلك الثقافة مصدرًا للمعرفة على نحو مُطلق، ويرون فيها خطرًا على العقائد المسيحية الأساسية والتي تختلف كليًا عن غيرها. كما كان المعارضون يخشون أن تصرف تلك الثقافة عن المعرفة المسيحية وتسرق المجهود والوقت عن المعرفة الإلهية الحقّة.

أما المؤيدون لأهمية دراسة العلوم المعاصرة فلم يكونوا غافلين عن تلك المخاطر، ولكنهم كانوا يرون فيها تمهيدًا للإيمان المسيحي. ولكن لا بد من التفرقة بين النافع والضار فيها. وكان العلامة كليمنس السكندري من أهم المدافعين عن الفلسفة اليونانية، فكان يعتبر "أن كل حكمة هي من الله"، وكما أعطى الله الناموس لليهود ليقودهم للمسيح هكذا أعطى الفلسفة لليونانيين ليقودهم للمسيح، فما هو أفلاطون إلا موسى في ثوب يوناني (ص ١٤).

وفي إطار هذا الجدل، بين المؤيدين والمعارضين، تأتي رسالة القديس باسيليوس إلى الشباب في كيفية الاستفادة من الأدب اليوناني لتحل مكانًا وسطيًا كأحد أهم نصوص الأدب الآبائي. كما أنها تؤكد على الفائدة الكبيرة التي يمكن أن نجنيها للرد على تساؤلاتنا من دراسة نصوص آباء الكنيسة وخصوصًا المثقفين منهم ثقافة عالية (مثل ق. باسيليوس).

---

(١) الكتاب مراجعة دكتور وجدي رزق غالي، دكتور جوزيف مورييس فلتس، دكتور عماد مورييس إسكندر، صدر عن مركز باناريون للتراث الآبائي، يناير ٢٠١٥، في ١٠٧ صفحة.

# WHY DON'T WE REJOICE?

(Letter 23 of Father Matthew the Poor's Letters)

*Let's take this journey with Father Matta in his meditation on the Nativity. Enjoy! NB: All quotations are taken from the NKJV, if not otherwise mentioned.*

**D**ear Father. May the peace of God which surpasses all understanding be with your beloved soul and may His peace abound to be a fruitful tree which flowers in springtime, having received by the warmth of the Holy Spirit the ability to bear the fruit of grace and offer nourishment for every living soul. May God bless him who plants and him who waters, and glorify the skillful hand that allows our nature to share God's own divine nature.

The time has come. "Let your servant depart in peace" (Luke 2:31). Simeon the Elder rejoices because Christ has been born in a place for beasts. The low point is lifted up to God's Heaven of Heavens; the crooked ways have been made straight by the mere touch of the Spirit; the obstacles have been removed in the silence of the night; and the daylight of salvation has shined upon the way, paving it upon the arid land of despondent hearts.

Why then should we not rejoice? Why should the angels not exult? Peace has just been planted in the very core of the earth. The joy of the Spirit has suddenly sprung forth amidst the thorns of sorrows. Those who do not wish to believe what is written, let them come to us to believe what is seen. Let them place the finger of doubt on the wound of sin; let them feel the pulses of grace instead of the stirrings of sin and hear God's heart beating beneath the sound of their own amazement.

After all that, those who do not wish to believe, let them take a look around, for the very stones are about to cry out, a cry that would deafen the ears... Today, there has emerged from the silence of the Church a voice crying that the time has come for the travail of childbirth. Christ is about to be formed in the hearts of many. A whole nation may be born in one day (cf. Is 66:8). Instead of the silence of fourteen centuries, the barren will cry out through the mouths of countless children. The light of the Holy Spirit will dawn and be poured out

profusely on every oppressed or crushed person, in place of the darkness that guilty hands have embraced throughout countless generations. Faith will cover the earth in readiness for the One who is to come, that Christ may find His heart's desire.

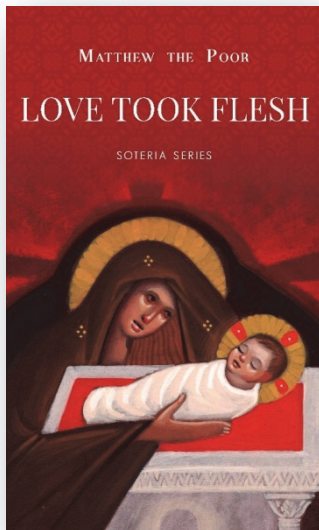
Trim your lamp, O wise people! (cf. Matt 25:1-13). Let the light of your poverty and contrition shine so that everyone in the house may know that we look forward to a better city whose foundations are built by God (cf. Heb 11:10). Let your eyes always look upwards to where the happy end lies and where your portion is being prepared for you. Do not become entangled in the unfruitful works of darkness, but rather be filled with peace through prayer and spiritual work.

Resort to find shelter in God's wings in evil times; He will carry you away. Have no anxiety about anything, but in everything, let your prayers be known to God, who seals with His faithful promises every work done sincerely in His name.

Peace, Peace, Peace!

(1967)

\*\*\*\*\*



*Love Took Flesh*, Father Matthew's English anthology on the glorious Nativity is now available for worldwide distribution on all Amazon stores.

This latest English publication by St. Macarius Press contains spiritual letters to his disciples on how the Incarnation of our Lord Jesus Christ was the fruit of God the Father's immense love toward humanity. Christ accepted estrangement and death for our sake to announce to everybody that "God so loved the world..."

**Matthew the Poor,  
Love Took Flesh: Nativity Letters  
(Wadi el Natrun, St Macarius Press)  
ISBN: 9781735071343**

# الفهرس العام لمقالات المجلة عام ٢٠٢٢م



صدرت المجلة في ١٠ أعداد عن الشهور من يناير – ديسمبر ٢٠٢٢م

ما عدا شهرَي يوليو وأغسطس ٢٠٢٢م، وهما العطلة السنوية للمجلة

الرقم الأول يُشير إلى الشهر، والثاني إلى الصفحة



مقالات قداسة البابا تواضروس الثاني:	ملتقى "إبيفاني Epiphany":	بحث تاريخي:
١/ ٢ إشراقة نور الحب	٩/ ١٩ تخليدًا لذكرى أنبا إبيفانيوس	١/ ٢١ دير القديس إرميا بسقارة
٢/ ١/ شهد الحب	<b>نياحة راهب فاضل:</b>	٢/ ٣١ دير القديس أبوللو بباويط (١)
٣/ ١/ زمن الحب	٣/ ٨/ الراهب صاروفيم المقاري	٣/ ٣٤ دير القديس أبوللو بباويط (٢)
٤/ ٢/ ذبيحة الحب	٤/ ٨/ الراهب يوستينوس المقاري	٥/ ٤٤ دير المحرق حضارة وتاريخ وتراث
٥/ ١/ قيامة المسيح أعطتنا إنسانية جديدة	<b>ذكر الصديق للبركة:</b>	٩/ ٣٦ دير العذراء بالجنادة
٦/ ١/ فيض الحب	١/ ١٠/ العلاقة الشخصية مع المسيح	١١/ ٣٧ أديرة قبطية في مصر باسم ق. باخوم
٩/ ٢/ قانون الحب	٦/ ١٠/ الأحزان المُرحة	<b>ادخل إلى العمق:</b>
١٠/ ١/ رائحة الحب	<b>الدكتور نصحي عبد الشهيد:</b>	١/ ٢٧ (٢١) خبز الحياة وغذاء النور
١١/ ١/ خدمة الحب	٩/ ١٥/ حياة التكريس البتولي لخدمة الكلمة	٤/ ٢٧ (٢٢) يسوع الكرمة الحقيقية
١٢/ ١/ الصوم وصيانة جهازنا الروحي	١٢/ ١٩/ أتى وسيأتي	٥/ ٣٧ (٢٣) لباسٌ (ثوب) العُرس
<b>مقالات للأب متى المسكين</b>	<b>مع آباء الكنيسة:</b>	٦/ ٤٠ (٢٤) الطريق والرفيق
١/ ٦/ إيماننا بالمسيح وكيف يتزكى بالتجارب	١/ ١٧/ القديس أنثاسيوس الرسولي:	٩/ ٢٤ (٢٥) شهداء يسوع
٢/ ٩/ عيد نياحة القديس أنطونيوس الكبير	الوسيط والمُصالح بين المتخالفين (٢)	١٠/ ٣٧ (٢٦) الخميرة الصغيرة
٣/ ٦/ الصارخين إليه نهاريًا وليلاً	٢/ ١٧/ القديس أنثاسيوس الرسولي:	١١/ ٣١ (٢٧) امكث معي
٤/ ٩/ طقس اللقان	الوسيط والمُصالح بين المتخالفين (٣)	١٢/ ٢٣ (٢٨) السهر الروحي
٥/ ٦/ رؤية القيامة	٣/ ١٤/ سيرة أنبا أنطونيوس رباط بين	<b>من التراث الكنسي:</b>
٦/ ٧/ حلول الروح القدس في يوم الخمسين	الشرق والغرب للأب عمانوئيل لان	١/ ٢٥/ في مفهوم الشركة الكنسية (٤)
٩/ ٦/ عيد التجلى	٥/ ١٨/ الإفخارستيا سر الوحدة (١)	٢/ ٢٦/ في مفهوم الشركة الكنسية (٥)
١٠/ ٥/ لأنتك تقول: إني أنا غنى ... (١)	٦/ ٢٤/ الإفخارستيا سر الوحدة (٢)	٣/ ٢٠/ في مفهوم الشركة الكنسية (٦)
١١/ ٦/ لأنتك تقول: إني أنا غنى ... (٢)	<b>من النصوص الأبائية:</b>	٤/ ٣٤/ في مفهوم الشركة الكنسية (٧)
١٢/ ٨/ لا تدِينُوا لِكَي لَا تُدَانُوا	١٠/ ١٨/ رداء المجد "لأمر أفرام السرياني" (١)	٥/ ٣٠/ في مفهوم الشركة الكنسية (٨)
<b>القديس القمص بيشوي كامل:</b>	١١/ ١٦/ رداء المجد "لأمر أفرام السرياني" (٢)	٦/ ٣٣/ في مفهوم الشركة الكنسية (٩)
٩/ ١/ إعلان قداسته في ٩ يونيو ٢٠٢٢	١٢/ ٢٨/ التلحين الليتورجي	٩/ ٣٠/ في مفهوم الشركة الكنسية (١٠)
٩/ ١٠/ المسيحية هي روح الاستشهاد	<b>في الذكرى الـ ٦٠ لتأسيس مجلة مرقس:</b>	١٠/ ٣٣/ في مفهوم الشركة الكنسية (١١)
١٠/ ١٢/ السفينة في وسط البحر	١١/ ٢١/ مجلة مرقس،	١١/ ٢٧/ في مفهوم الشركة الكنسية (١٢)
١١/ ١٠/ تكريس القلب	نظرة خاطفة على مسيرة طويلة	١٢/ ٣٩/ في مفهوم الشركة الكنسية (١٣)

## من الخبرات الروحية:

٢٥/١٠ مفترق الطُّرق الرهيب

## في معاملات الله مع الإنسان:

٢٩/١٠ معاملات الله الحبيبة التأديبية معنا

## بمناسبة شهر كيهك:

١٢/١٢ ومضات من أنجیل آحاد شهر كيهك

## بمناسبة أعياد الظهور الإلهي:

١٢/ ١ عظة عيد الأنوار ق. غريغوريوس

## بمناسبة عيد دخول المسيح الهيكل:

١١/ ٢ الرب في هيكل قدسه

## بمناسبة الصور المقدّس:

٩/ ٣ فضيلة الصوم أم الفضائل

## بمناسبة عيد القيامة المجيد:

٢٢/ ٤ إيمان الرسل بقيامة الرأس وتبشيرهم

## من القيامة إلى الصعود:

٥/ ٦ المسيح باكورة ثم الذين للمسيح

## بمناسبة عيد الصعود:

١٤/ ٦ سر صعود الرب

## من تاريخ كنيستنا:

٣٣/ ١ البابا مكاريوس الثالث ١١٤ (٢)

٣٨/ ٢ البابا يوساب الثاني الـ ١١٥ (١)

٤٠/ ٣ البابا يوساب الثاني الـ ١١٥ (٢)

٤١/ ٤ البابا يوساب الثاني الـ ١١٥ (٣)

## مفاهيم إنجيلية:

٣٥/ ٢ يسوع المسيح لم يكن نعم ولا

٣٠/ ٣ بطرس وحقيقة الإنسان

٣٣/١٢ يوحنا المعمدان

## مفاهيم إيمانية:

٢١/ ٢ الدعوة والاختيار في الكتاب المقدس (أ)

٢٤/ ٣ الدعوة والاختيار في الكتاب المقدس (ب)

## مفاهيم كنسية:

٣٨/ ١ دور المرأة في تاريخ الخلاص (١)

## تأملات:

١٨/ ٤ في جثسيماني: رجل أوجاع ...

١١/ ٥ الإنرجيا الإلهية (١)

١٧/ ٦ الإنرجيا الإلهية (٢)

## تقديم كتاب:

٤٢/ ١ (١) الكهنوت المسيحي

٣٧/ ٢ (٢) نظرة على الكنيسة المبكرة

٣٢/ ٣ (٣) هل إله العهد القديم هو إله شير؟

٣٩/ ٤ (٤) الفنون الكتابية

٤٠/ ٤ (٥) ليتورجيا الحياة

٤٩/ ٥ (٦) مفهوم التآله عند آباء الكنيسة

٤٣/ ٩ (٧) مجتمع يسوع، تقاليده وعادته

٤٠/١٠ (٨) التآله والوحدة

٤٤/١١ (٩) القصد الإلهي: لسوزان دي تريخ

٤٤/١٢ (١٠) الكنيسة وثقافة العصر

## مقال بالإنجليزية: للآب متى المسكين

٤٤/ ١ Christ, God's Free Gift to

Humanity

٤٤/ ٢ Guidelines for Prayer

٤٨/ ٣ Holy Fast

٤٨/ ٤ Renunciation: Sharing in

Christ's Cross

٥٢/ ٥ Keep your gaze on the Lord

٥٢/ ٦ A Day of Jubilation and pride

٤٨/ ٩ A Letter from Fr. Matta El-

Meskeen to Fr. Pishoi Kamil

٤٦/٩ "Epiphany" a one-day seminar

٤٤/١٠ Our Need for Christ (1)

٤٨/١١ Our Need for Christ (2)

٤٨/١٢ Why don't we Rejoice?

## من تعليم آباء الكنيسة:

## كتابات أبائية مترجمة عن اليونانية:

غلاف ١ وعلى الأرض السلام

غلاف ٢ أبانا الذي في السموات

غلاف ٣ لأجلنا قد ليس جسداً

ولأجلنا قد انتهر الرب الشيطان

غلاف ٤ «مجد ابلك»

غلاف ٥ النار الإلهية والقيامة

غلاف ٦ النار الإلهية التي نالها من المسيح

غلاف ٩ النفوس المسفرة في صليب المسيح

غلاف ١٠ الجسد المحيي

غلاف ١١ الزرع الإلهي

غلاف ١٢ قد ليس جسدي لأحتضن أنا اللوغوس

## صور الغلاف:

وجه ١ أيقونة الميلاد البتولي

ظهر ١ معمودية المسيح

وجه ٢ التجربة على الجبل

ظهر ٢ الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا

وجه ٣ يا أبي أخطأت إلى السماء

رسم للفنان موريللو سنة ١٦٧٠م

ظهر ٣ التجربة على الجبل

وجه ٤ أيقونة الصلبوت

ظهر ٤ ظهور الرب لمريم المجدلية

وجه ٥ أيقونة القيامة

ظهر ٥ القديس مرقس الإنجيلي

وجه ٦ أيقونة الصعود

ظهر ٦ حلول الروح القدس يوم الخمسين

وجه ٩ الأب القديس بيشوي كامل

ظهر ٩ القديس أنبا مقار الكبير

وجه ١٠ القديس يوحنا القصير

ظهر ١٠ معجزة صيد السمك

وجه ١١ خراج الزارع ليزرع

ظهر ١١ ميخائيل رئيس الملائكة

وجه ١٢ الملاك جبرائيل

ظهر ١٢ زكريا الكاهن



## He Put On My Body That I May Embrace His Word

The Cherubim praise and the Seraphim glorify. All join to celebrate this feast, beholding God on earth and man in heaven, the Most High below according to the dispensation, and the lowly raised by God's love for mankind (...).

And ask not how: for where God wills, the order of nature yields. For He willed, He had the power, He descended, He redeemed (...).

The Ancient of Days has become an infant! He who sits upon the sublime and heavenly Throne is placed in a manger! (...)

He who has broken the shackles of sin is tied by fetters because He desired it! He wanted to transform vileness into honor and clothe shame with glory, to make what is point of contempt a means to virtue! For that reason He put on my body that I may embrace His Word! He took my flesh and gave me His Spirit.

*In natalem Christi diem.*

\*\*\*\*\*

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἰωάννου τοῦ Χρυσοστόμου

Ὑμνεῖ τὰ Χερουβὶμ, δοξολογεῖ τὰ Σεραφὶμ, πάντες ἐορτάζουσι Θεὸν ἐπὶ γῆς ὀρῶντες, καὶ ἄνθρωπον ἐν οὐρανοῖς· τὸν ἄνω κάτω δι' οἰκονομίαν, καὶ τὸν κάτω ἄνω διὰ φιλανθρωπίαν...

Καὶ μὴ ζήτηί πῶς· ὅπου γὰρ βούλεται Θεός, νικᾶται φύσεως τάξις. Ἡβουλήθη γὰρ, ἡδυνήθη, κατῆλθεν, ἔσωσε...

Ὁ Παλαιὸς ἡμερῶν παιδίον γέγονεν, ὁ ἐπὶ θρόνου ὑψηλοῦ καὶ ἐπηρμένον καθήμενος ἐν φάτνῃ τίθεται, ...

Ὁ τὰ τῆς ἁμαρτίας διασπῶν δεσμὰ σπαργάνοις ἐμπλέκεται, ἐπειδὴ τοῦτο θέλει. Θέλει γὰρ τὴν ἀτιμίαν ποιῆσαι τιμὴν, τὴν ἀδοξίαν ἐνδύσαι δόξαν, τὸν τῆς ὕβρεως ὄρον, ἀρετῆς δεῖξαι τρόπον. Ὅθεν ὑπέρχεται τὸ ἐμὸν σῶμα, ἵνα ἐγὼ χωρήσω τὸν αὐτοῦ Λόγον· καὶ λαβὼν τὴν ἐμὴν σάρκα, δίδωσί μοι τὸ ἑαυτοῦ Πνεῦμα.

PG 56, 385-389

## St. Mark Monthly Review

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):

U.S.\$ 100.00; Single Copies U.S.\$ 10.00

**Subscriptions** to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:

**"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.**

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.

© 2022 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80-960629. ISSN 2805-2382

**VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG**